تشريح الغريزة



معتز عرفان

تشريح الغريزة

معتز عرفان

دار عرفان للنشر

تـشريـح الـغـريـزة

فكرة الكتاب

مواجهة منهجية وصريحة بين الجنس من جهة، والعلم والدين والفن من جهة أخري، وتأملات في الجنس والجنسانية.

الفهرس

-الفصل الأول

الجنس في الإطار العلمي

تخبرنا الدراسة الفينومينولوجية للنشاط البشري عن تزايد أعداد البشر بشكل واضح علي مدار السنين، ومع كل نفس نتنفسه وكل حركة نقوم بها وكل تفاعل كيميائي يلاعب أجسادنا، نشعر بالهدف الحقيقي للوجود البشري، وتتضح الصورة، ويُزال عنها الغيوم والضباب. يتمثل الهدف الرئيسي للوجود البشري في التكاثر، والحصول علي أكبر عدد ممكن من البشر. ولا تقتصر عملية التكاثر علي الإنسان فحسب لكنها تمتد لتشمل كافة الكائنات الموجودة علي سطح الكوكب. تعتمد هذه العملية علي التوظيف الفعلي للغريزة الجنسية، والتي يعتبرها الكثير من العلماء بمثابة المحرك الرئيسي للحياة البشرية. لا تأخذ جزءاً كبيراً من ذهن الإنسان الطبيعي أو المعياري، لكنها قد تدخل مع البعض في حالة من الهوس، والجنون بصورة واضحة، ومؤثرة. وبالرغم من ذلك، يجمع الكثير من العلماء علي الوجود الطاغي للغريزة الجنسية ضمن البنية التحتية للعقل اللاواعي، ولا يتوقف الأمر عند هذه النقطة فحسب بل يمتد ليشمل عملية البرمجة المسيطرة علي العقل البشري بشكل كامل. يعطي العلم الحديث الغريزة الجنسية قدراً كبيراً من الأهمية كما يعمل علي إدراجها ضمن الاحتياجات الفسيولوجية الأساسية للكائن البشري. ومن الممكن أن نتعرض للموضوع بصورة أوضح من خلال هرم ماسلو للاحتياجات الأساسية للإنسان، حيث يضع الرجل الاحتياجات الفسيولوجية

كقاعدة رئيسية للهرم، ويدرج الغريزة الجنسية كعنصر أساسي ضمن العناصر المشكلة للجزء الفسيولوجي المتمثل في القاعدة بصورة واضحة، وتتمثل هذه الاحتياجات في التنفس، والطعام، والماء، والنوم، والتوازن، والإخراج، والجنس بصورة مؤكدة. ينظر الألماني شوبنهاور إلي الغريزة الجنسية علي أنها ميراث إنساني، ويعاملها سيجموند فرويد باعتبارها المحرك الرئيسي للبشر، وقد أكد علي ذلك باستمرار من خلال أطروحاته، ونظرياته المتعددة. وفي نفس الوقت، يري بعض العلماء أن البشر لا يمتلكون أي غريزة جنسية علي الإطلاق، لكنهم قد تعلموها من خلال التجربة الاجتماعية، والاندماج مع بعضهم البعض، لكنه رأي ضعيف بكل تأكيد حيث يعمد الأغلبية إلي الفكر المماثل لفكر فرويد، دون المبالغة التي قد تطول بعضاً من أعماله الخاصة بالجنس. يري شوبنهاور أن الغريزة الجنسية هي أكبر الصور المؤكدة للحياة البشرية، وأكثرها اهتماماً من قبل الإنسان والحيوان، كما يوضح أن المبالغة في الممارسات الجنسية أمر لا يتمثل سوي في الفاسقين، بينما يملأ الأتقياء عقولهم بالخيالات، والأحلام. لكنه يري في نفس الوقت أن الغريزة الجنسية حلم أو وهم، حيث يعتقد المرء أنه ينعم بالسلام، والسعادة، والتمتع من خلال ممارستها بالصورة السوية أو غير السوية، لكنه في حقيقة الأمر مجرد ساذج مُضلل يعمل بشكل تلقائي علي إرضاء

احتياجات، وأهداف الفصيلة البشرية المتمثلة بصورة أوسع في التكاثر، والتزايد. يري نيتشه أن الغريزة الجنسية تمثل قوة محورية تعمل باستمرار ضمن البيئة الروحية للإنسان وأنها تتجاوز مرحلة الجسد. وقد يعبر فرويد عن هذه النقطة بشكل مختلف من خلال مصطلحاته المتمثلة في اللاوعي أو العقل اللاواعي، والذي يؤثر باستمرار علي قرارات العقل الواعي دون شعور منه. في الحقيقة، كثيراً ما أرجع فرويد الكثير من الأمراض النفسية، والاضطرابات السيكولوجية إلي كبت الغريزة الجنسية، حيث أرجع العديد من حالات الهستيريا، والعصاب، وقضم الأظافر التي تصيب الإناث بشكل أوسع إلي الكبت الجنسي، ولهذا اتُهم من قبل الكثيرين بالهوس الجنسي فيما بعد. يري الرجل أن البشر يتحركون، ويتخالطون، ويتعارفون بدافع غريزي جنسي خالص يكمن في عقولهم اللاواعية كجزء من البرمجة الذهنية المُعتمدة من قبل المخ البشري. كما ينظر لعملية الإرضاء الجنسي علي أنها عملية مجزئة ومقطعة تتكامل وتتكاتف مفرداتها من خلال التجارب الفردية المختلفة والمتعددة. لكنه يضع الاحتياجات البيولوجية في إطار منفصل عن فكرة الغريزة نفسها، حيث يعتبرها قوة محركة للإنسان بشكل رئيسي، لكنها لا تهدف إلي شيء محدد أو معين غير الإرضاء الجسدي المؤقت، والذي لا يمكن تحقيقه بشكل كامل عبر تجربة موحدة لكنه يتجزأ بشكل مستمر

عبر العديد من التجارب الفردية، ويؤكد علي أن عملية التكاثر تمثل هدفاً من أهداف الغريزة المتعددة؛ حيث يعبر في كتابه "ثلاثة مباحث في الجنس" عن الأهداف الأخرى للغريزة الجنسية المتمثلة في التمتع بصوره المختلفة، ويوضح أنها تعمل بشكل متساوٍ بين جميع المنخرطين في الأنشطة الجنسية دون تفرقة أو تقيد بنشاط محدد، لكنها تضفي المساواة الفعلية علي كافة الأنشطة الجنسية الممكنة، والمتاحة. يتعرف الطفل خلال مراحله الأولي علي المناطق الإيروجينيسية "مناطق الإثارة الجنسية"، والتي من شأنها أن تعمل علي تحقيق الإرضاء الغريزي له فيما بعد. كما يعمد إلي الفنتازيات، والخيالات، والأفكار الثقافية المنتشرة بمجتمعه، والتي تتضمن التكاثر أو الشذوذ علي سبيل المثال، حيث تمثل البيئة ركناً أساسياً في عملية تحديد الميول الخاصة بالفرد؛ لأنها تعمل علي تشكيل هويته، وتحديد بنيته الفكرية، والذهنية. ينظر كارل جوستاف يونج إلي الغريزة الجنسية علي أنها طاقة روحية أو نفسية بشكل عام، وكثيراً ما يربطها "بالسيكي" الممثلة للنفس، والروح. كما ينظر بعض العلماء إليها علي أنها طاقة محفزة إذا ما أُرضيت بشكل معتدل، بل من الممكن أن تعمل بشكل أفضل إذا ما تعرضت للكبت أو التدرج ثم اتُبعت بالتحرر المفاجئ.

من الضروري أيضاً أن نؤكد علي الفرق الواسع بين الإنسان، والحيوان فيما يخص عملية التحكم المتعلقة بالممارسة الجنسية، حيث ينخرط الحيوان في ممارسة النشاط الجنسي دون قدرة علي كبح جماحه بينما يوفر العقل البشري للإنسان القدرة علي التحكم، وكبح الجماح. بالطبع، تحيط البيئة الفسيولوجية والسيكولوجية بعملية الإشباع الجنسي، وتؤثر علي الفرد بشكل محوري وفعال. فحينما نتحدث عن البيئة الفسيولوجية الخاصة بالذكر والأنثى فيما يخص النشاط الجنسي بشكل عام، فلابد أن نتطرق إلي التستوستيرون الممثل للمحفز الجنسي الأول للذكر، والذي يعمل علي تصعيد درجة الإثارة الجنسية عند الذكور كما يشترك في الكثير من الأمور الأخري الخاصة بعملية التطور الجنسي، والنمو، والممارسة الجنسية بشكل عام. أما بالنسبة للأنثى، فلابد أن نشير إلي الإستروجين،
والبروجسترون، والتستوستيرون بصورة رئيسية، لكن بشكل أقل مقارنةً بالذكور. كما أننا لابد أن نوضح الحقيقة العلمية المتعلقة بهذه النقطة، والمتمثلة في تصاعد الليبيدو عند الأنثي أثناء عملية تكوين البويضة أو قبل عملية التكوين. ومن الممكن أيضاً أن نلاحظ تذبذبات متعددة فيما يخص الإطار الكلي لهذه العملية، والذي قد يشمله الاختلاف بين الإناث بشكل عام. أثناء الممارسة الجنسية والأورجازم، ترتفع معدلات الإندورفينز، والأوكسيتوسن في أجساد الذكور والإناث، لتسود أنماط

الحب، والرعاية، والتبادل العاطفي بصوره المتعددة، ويرتبط الأمر بالتستوستيرون، والإستروجين، والدوبامين المُفرز بكثرة بشكل وثيق. بالنسبة للجزء النفسي، تؤثر الحياة الجنسية علي سيكولوجية الذكر، والأنثي بشكل واضح وفعال، ويبدأ السلوك الجنسي في اتخاذ المسار النشط والمؤثر منذ لحظة البلوغ عند الجنسين، ليخلق قدراً كبيراً من الاضطراب والتوتر. تخرج هذه التوترات في أشكال مختلفة ومتعددة، وتتنوع بين الأشخاص وفقاً لمنظوماتهم الفكرية، والثقافية، والدينية المختلفة، والتي قد تخلق قدراً من الصراع الداخلي عند بعضهم كنتيجة حتمية لمخالفة هذه المنظومات المنظمة لعملية التوظيف الجنسي، والتي يقع في قمتها الدين بكل تأكيد. كثيراً ما يُصاب المراهقون بحالات من الاكتئاب والتوتر كنتيجة للتأثيرات الهرمونية المختلفة، والمضطربة، وهو ما ينتشر بين الإناث بصورة أكبر، وأوسع مقارنةً بالذكور، خاصةً أثناء فترة الدورة الشهرية عندهن. في نهاية هذا الفصل، أحب أن أتطرق إلي الجنس ضمن الإطار البعيد عن التقليدية، والمتمثل في الخطل الجنسي (البارافيليا)، حيث تندرج الكثير من الممارسات الجنسية، والسلوكيات البشرية المختلة تحت بند البارافيليا، وتتنوع صورها، وتختلف من بيئة لأخري؛ فما نعتبره هتاكاً في مجتمع ما قد يندرج تحت بند السلوك الطبيعي، والمألوف في مجتمع آخر.

يتمثل الهتاك "الإكسبيشينزم" في الوساوس، والدوافع الملحة، والتي من شأنها أن تجبر الشخص علي التعري التام في مواجهة شخص غريب عنه، ويتم هذا السلوك بشكل مرضي، وغريب ليرضي دوافع "الإكسبيشينست" الداخلية، والغريبة بالنسبة للسلوك التقليدي المعتاد من قبل البشر. قد يُستخدم مصطلح "إكسبيشينزم" بشكل أوسع حينما يشمل أي درجة من التعري بحيث لا يقتصر علي العملية الكلية فحسب بل يأخذ العملية الجزئية أيضاً في الحسبان. بالنسبة "للبيدوفيليا"، فإنها تتمثل في الانجذاب الجنسي من قبل الشخص البالغ تجاه الأطفال أما "الساديزم"، فإنه يمثل حصول الشخص علي المتعة الجنسية من خلال إيذائه لشخص ما وتعذيبه، وإذا كان الشخص مستمتعاً بذلك فحينها يندرج تحت بند "المازوكيزم"، والذي يمثل الاستمتاع الجنسي من خلال التعرض للألم والإيذاء. يُستمد مصطلح "ساديزم" أو "السادية" من اسم الروائي الفرنسي ماركيز دي ساد، بينما يُستمد مصطلح "مازوكيزم" أو "المازوخية" من اسم الروائي النمساوي مازوخ، ويكمل السلوكان بعضهما البعض إذا كان المشاركين بهذه السلوكيات "بارافيلياك" بطبيعة الحال. يتمثل "الفوياريزم" في الحصول علي المتعة من خلال متابعة النشاط الجنسي لعدد من البشر بشكل سري، والانغماس والانهماك في ممارسة ذلك، وهو ما نطلق عليه بالعامية "البصبصة"، إذا أردنا أن نضع

الصورة في إطار أضيق للتبسيط والتوضيح، وتناقش رواية "الجحيم" لهنري باربوس هذا السلوك بشكل متميز، وتعرضه بشكل استثنائي. بالنسبة "للكاندويلزم"، فإنه يمثل تمتع الذكر بتعريض شريكته الأنثي إلي أشخاص آخرين، ويتماشي هذا السلوك الغريب مع "الفوياريزم"، و"الإكسبيشينزم" بكل تأكيد، وقد عبر عدد من الفنانين عن هذا السياق من خلال لوحاتهم الفنية مثل لوحة "الدوك مبرزاً حبيبته" بواسطة الشهير يوجين ديلاكرو. تمثل "النيكروفيليا" انجذاباً جنسياً إلي الجثث، وقد عبر الفنان الإيطالي بيترو باجيتا عن هذا السلوك من خلال لوحته المغمورة التي تحمل اسم "الكراهية". أما بالنسبة "للترانسفيستزم"، فإنه يمثل الحصول علي الإثارة الجنسية من خلال ارتداء أو رؤية الملابس المتعلقة بالجنس الآخر، وقد شخص البعض المخرج الأمريكي إد وود بهذا الخلل الغريب حيث أنه كان مغرماً بارتداء ملابس النساء. تمثل "اللاكتوفيليا" الحصول علي الإثارة الجنسية من خلال الرضاعة، وتمثل "الميزوفيليا" الحصول عليها من خلال إحاطة الشريك الآخر بالقذارة، بينما تمثل "الناراتوفيليا" الحصول علي الإثارة من خلال تبادل الكلمات الفاحشة والقصص الجنسية. تتعدد الأنواع الخاصة "بالبارافيليا"، وتتشكل بين الأفراد المصابين بذلك، وتتطور هذه الحالات خلال فترة المراهقة لتصبح واضحةً، ومؤثرةً في حياة الشخص مع الكبر.

لكنها تتضمن في نفس الوقت بعض السلوكيات المُمارسة من قبل معظم البشر ضمن الإطار العادي والدائم، دون التعرض لأي أضرار.
فاللاكتوفيليا والناراتوفيليا بعيدتان كل البعد عن إلحاق الضرر بالأفراد مقارنةً بالسادية والمازوخية المتسببتين في الكثير من الأضرار علي المدى البعيد. وغالباً ما تعود هذه الحالات (خاصةً الدرجات العليا والمؤذية منها) إلي أسباب يصعب التحكم بها مثل نشاط التستوستيرون، والوساوس القهرية، والاستغلال الجنسي أثناء فترة الطفولة الخاصة بالفرد.

-الفصل الثاني

الجنس في الإطار الديني

تُعتبر الغريزة الجنسية أداةً من أدوات الاختبار الإلهية، وركناً أساسياً من أركان العلاقة بين العبد والإله، حيث ينظر الدين إلي منظومة الزواج علي أنها الطريق الوحيد والشرعي لتوظيف الغريزة الجنسية، ويدعو البشر لإرضاء غرائزهم ضمن الإطار العاطفي من خلال عملية الزواج المُعلنة والشرعية، حيث يقول الله تعالي في سورة الروم: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)". كما يصف الممارسات الخارجة عن هذه المنظومة بالفاسقة والفاجرة، ويدرجها تحت مسمي "الزنا". تتطرق النصوص الدينية إلي الغريزة الجنسية عبر عدة محاور أساسية وهامة تتمثل فيما يلي:-

التعرض لطبيعة النشاط الجنسي عند البشر

يقول النبي (ص): "إِنَّ اللهَّ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُه". وبصورة أخري، "كُلُّ ابْنِ آدَمَ لَهُ حَظُّهُ مِنَ الزِّنَا، فَزِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا الْيَدَيْنِ الْبَطْشُ، وَزِنَا الرِّجْلَيْنِ الْمَشْيُ، وَزِنَا الْفَمِ الْقُبَلُ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ الْفَرْجُ".

ولا يُؤخذ هذا الحديث كمبرر للانخراط في ممارسة مقدمات الزنا (الزنا المجازي) أو الزنا نفسه (الزنا الحقيقي) بل يُؤخذ كوسيلة للإدراك، والمعرفة، والابتعاد عن الزنا، وحفظ النفس.

الحث علي التوظيف الغريزي ضمن منظومة الزواج

يقول النبي (ص): يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ. ويقول: لَكِنِّي أَنَا أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي. ويقول: تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ، فإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. كما يقول: تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ.

عرض أشكال العقاب المتعلقة بالمخالفة

يقول أحمد بن حنبل: "ولا أعلم بعد قتل النفس ذنبًا أعظم من الزنا".

ويقول الله عز وجل في سورة النور: {الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [3].

وفي سورة الإسراء: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [32].

وفي سورة المؤمنون: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [5-6-7].

وفي سورة الفرقان: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا} [68-69]. وفي سورة النور: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [19]. ويقول النبي (ص): لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن. ويقول: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا. كما يقول: احفظوا فروجكم. ألا من حفظ الله له فرجه فله الجنة.

التعرض لأشكال الرحمة الربانية، وحث المخالفين علي التوبة

يقول الله عز وجل في سورة الزمر: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)". وفي سورة الفرقان: "إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)". وفي سورة البقرة: "إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيم (160)". وفي سورة النساء: " إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17)".

وتُؤخذ الرحمة الإلهية كدافع للابتعاد عن الفعل، والانقطاع عن ممارسته، والسعي نحو التوبة، ولا تُؤخذ كمبرر للانخراط فيه، والاستمرار في مزاولته. وإذا تطرقنا إلي عملية الشيطنة التي يلحقها البعض بالغريزة الجنسية، لوجدنا أنفسنا أمام حالة من الفهم الخاطئ المُمارس من قبلهم تجاه طريقة تعامل الدين مع الغريزة. فالغريزة الجنسية بعيدة كل البعد عن الشيطنة أو القذارة أو الدناءة طالما أنها تُمارس ضمن منظومة الزواج، وتُوسم بالصفات السابقة إذا تم ممارستها خارج هذه المنظومة المُعلنة، والمعروفة من قبل الجميع، ويجب علي المرء أن يتوب سريعاً إذا وقع في الزنا بأي شكل من الأشكال. وترتبط عملية الشيطنة بضيق الأفق وافتقاد المرونة الذهنية، حيث تعمد شيطنة السلوك الجنسي إلي منظومات فكرية مُسبقة، وبعيدة كل البعد عن التحليل الموضوعي للأمور. ندرك جميعاً حقيقة النشاط الجنسي، والصراع القائم حوله منذ القدم، ولن أتحدث عنه ضمن الإطار الذي يرصده من خلاله فرويد واصفاً إياه بأصل الشرور، لكنني سأضعه في الإطار الصحيح القائم علي الجمع بين طبيعة الخير، وطبيعة الشر علي السواء؛ فمن الممكن أن تُوظف الغريزة الجنسية ضمن الإطار المبني علي الخير والحب والعاطفة والسلام، ومن الممكن أيضاً أن تُوظف ضمن السياق المبني علي الشر والعنف والصراع.

إن عملية الشيطنة الخالصة للنشاط الجنسي بعيدة كل البعد عن الفهم السليم، والإدراك الواسع للموضوع بشكل عام؛ حيث يعتبر الدين السلوك الجنسي أمراً روحياً يُثاب عليه المرء إذا عمل علي إرضائه بالشكل السليم، وفي الإطار الصحيح المتمثل في منظومة الزواج. فإذا جامع الرجل زوجته فهو مأجور لأنه اتَّبع الحلال، وترك الحرام، وهو ما يؤكده حديثٌ النبي (ص)، فعن أبي ذر: "أن ناساً من أصحاب النبي قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون، إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليله صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بُضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر".

التعرض للأجر العظيم المتعلق بالتوظيف الغريزي السوي

يقول الله عز وجل في سورة الأحزاب: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا

وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (35)". وفي سورة النور: "قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّـهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (30-31)". ومن هنا نستنتج أن الدين ينظر إلي التوظيف غير السوي علي أنه شر يلحقه الإنسان بنفسه، ومن الضروري أن يبتعد عنه، ويعمل علي تجنبه بشكل دائم، وأن يلجأ إلي التوبة والانقطاع عنه إذا وقع فيه، حيث يقول الله عز وجل في سورة يوسف: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)". وفي نهاية الفصل، نريد أن نؤكد علي حجم التوافق الفعلي بين العلم، والدين فيما يخص الإرضاء الجنسي، حيث لا يعمل الإسلام علي كبت الغريزة لكنه يسعي نحو تنظيمها، ووضعها في الإطار الصحيح، والسليم.

-الفصل الثالث

الجنس في الفيلم والرواية

تتبع عملية التجسيد السينمائي للغريزة الجنسية درجات متفاوتة ومختلفة بشكل كبير، فعندما نتأمل عملية الإنتاج السينمائي الأوروبي والأمريكي، نجد أنفسنا بصدد التعامل مع عملية تجسيدية متدرجة، ومتنوعة بصورة واضحة. ففي الفيلم السينمائي الإيطالي "مالينا"، يقدم المخرج جوزبي تورناتوري قصة المراهق الصغير المنغمس في أحلامه وفنتازياته المرتبطة بالسيدة مالينا، والتي تسكن علي مقربة منه، حيث يعمد تورناتوري إلي تجسيد الغريزة الجنسية عبر التطرق إلي الصراع الداخلي الكامن في نفس المراهق الصغير، والمتمثل في الكثير من الخيالات الجنسية التي لا تأخذ منه نصيباً كبيراً علي أرض الواقع، لكنها تلاعب عقله الباطن بصورة مستمرة. كما يستخدم الإيطالية الشهيرة مونيكا بلوتشي ليضفي علي الدور الكثير من الواقعية والإثارة، ويعمد إلي العديد من اللقطات الراصدة لجمالها، والمعبرة عن مدي تأثيرها علي الفتي الصغير. وقد نجد حالة مشابهة للبيئة السابقة من حيث الاعتماد علي الطابع الجنسي عبر التطرق إلي فيلم "الغريزة الرئيسية"، والذي يبالغ بشكل واضح في عملية التجسيد الخاصة بالسلوكيات الجنسية، ويستخدمها كوسيلة واضحة لجذب الجمهور إلي صالات السينما، والعمل علي إثارة انتباهه معتمداً علي الحضور الواضح لشارون ستون، واستخدامها كمركز رئيسي للفيلم، وكنواة أساسية له بشكل صريح.

أيضاً من الممكن أن نتأمل معاً أفلام المخرج الإيطالي برناردو برتلوتشي، والذي يعمد بشكل مستمر إلي التعبير الصريح عن الغريزة الجنسية عبر أفلامه السينمائية، حيث من الممكن أن نستخدم فيلميه "الحالمون"، و"التانجو الأخير في باريس" كمثال واضح للتعبير عن منظومته الفكرية المتعلقة بالموضوع موضع النقاش. كما أننا من الممكن أن نرصد المزيد من التحرر المتعلق بالتجسيد السينمائي للغريزة الجنسية عبر تأمل أفلام السينما الفرنسية، والتي تعمد باستمرار إلي العري، والتجسيد المبالغ فيه للغريزة بشكل واضح، ومن الممكن أن نشهد عمليات تجسيدية غير مُبررة بشكل متكرر عبر أفلامهم المتعددة. ففي الفيلم الفرنسي "حياة أديل"، نجد أنفسنا بصدد التعامل مع عملية تجسيدية معتمدة بشكل واضح علي المبالغة في العرض والتركيز علي الإباحية المفرطة، حيث يعمل المخرج عبد اللطيف كشيش علي إظهار جوانب الحياة الشخصية والجنسية المتعلقة بالفتاة وصديقتها المتحررة دون أي قيود تُذكر. كما نلاحظ تركيز كشيش علي الجانب الجنسي في أفلامه المختلفة بشكل واضح، وكأنه يعمد باستمرار إلي الغريزة الجنسية كوسيلة لجذب الجمهور، ولفت الانتباه.

من الممكن أيضاً أن نلاحظ التعمد الهوليودي الواضح، والمتعلق بإضفاء الطابع الجنسي علي الكثير من أفلامهم بل من الممكن بسهولة تتبع المسار الخاص بعملية الإنتاج السينمائي المُتبعة في أميركا، والتي تعمد إلي

استخدام الغريزة الجنسية في أفلامهم بدءاً من الإيحاءات، وانتهاءاً بالتجسيد الصريح، وإثارة الضجة في المجلات، والقنوات حول الأدوار الجديدة الجامحة للممثلات، والفنانات. هنا نجد استخداماً صريحاً لعملية التجسيد الجنسي كوسيلة مركزية تسعي بشكل واضح تجاه جذب الجمهور ولفت الانتباه، حيث أنه من السهل أن نجد الكثير من الأفلام المُفرغة من المحتوي الفكري، والمُفعمة بالمحتوي الجنسي، والجانية للكثير من الأموال؛ فعندما نتأمل معاً ثلاثية (خمسون درجة من جراي) السينمائية المعتمدة علي مجموعة من الروايات الشهيرة والتي تحمل نفس الاسم، فإننا بصدد التعامل مع عملية مُدمجة من المحتوي الفارغ والتجسيد الجنسي المبالغ، حيث يعمد المخرج إلي استخدام داكوتا جونسون كوسيلة صريحة وواضحة لجذب الانتباه وتحقيق الإيرادات. ولكننا هنا بصدد التعامل مع إشكالية أزلية متعلقة باستخدام المرأة دون قيود عبر الوسيط السينمائي، حيث تراودنا الكثير من الأسئلة المتعلقة بهذه النقطة مثل .. هل تعمل السينما علي تسليع المرأة؟ أم تستخدمها ضمن الإطار الفني والفكري دون تبجح أو مبالغة؟ .. في الحقيقة من الصعب أن نجد أجوبةً واضحةً لهذا النوع من الأسئلة، لكننا علي ثقة تامة أننا قد تعرضنا عبر تجربتنا الممتدة مع السينما إلي عمليات متكررة من التجسيد الجنسي دون مبرر يُوضح، ودون حاجة تُذكر.

وبالنسبة لفن الرواية، تعج الكثير من الروايات العالمية بأشكال التجسيد الصريح للسلوك الجنسي الخاص بالعديد من الشخصيات المُدرجة ضمن الإطار الروائي، وعندما نتأمل معاً أعمال باولو كويلو، فإننا بصدد التعامل مع رجل قد اتُهم كثيراً من قبل القراء بالهوس الجنسي، حيث يعمد إلي وصف الممارسات الجنسية في كثير من رواياته بشكل واضح وصريح. يعتمد كويلو في رواياته علي التجسيد الجنسي الصادم والجامح بشكل متكرر لينخرط في عملية تجسيدية عميقة مُكونة من الوصف والتفصيل. يأخذنا في جولات فاحشة مع شخصياته المضطربة بشكل مستمر، ويعمل علي تفصيل الجوانب النفسية والصراعات الداخلية الناجمة عن الكثير من التصرفات والسلوكيات المتعلقة بشخصيات رواياته مثل ممارسة الخيانة الزوجية أو الانخراط في الدعارة. ومن الممكن أيضاً أن نتطرق إلي أعمال الروائية إريكا يونج، والتي تعتمد بشكل واضح علي الإباحية المفرطة والتجسيد المبالغ. ومن الممكن أن نتأمل ثلاثيتها الشهيرة (خمسون لوناً)، والتي تتكون من "الخوف من الطيران"، و"الخوف من الخمسين"، و"الخوف من الموت"، حيث تعبر يونج في عملها الأدبي عن صراعات المرأة، وعن كل ما يخصها، وكل ما يحيط بها. كما ترصد مراحل الحياة المختلفة، وما يصاحبها من تغيرات وتقلبات، وتوضح مدي تأثيرها عليها، وعلي غيرها من النساء. لكنها تعمل علي

إضافة جرعة غير عادية من الإباحية إلي رواياتها الثلاث، وتعمد إلي التفصيل الواضح للممارسات الجنسية، وتخلق الكثير من الشخصيات المنخرطة في ممارسة الإباحية، والفجاجة عبر صفحات رواياتها الجامحة.

إن عملية التجسيد الصريح للغريزة الجنسية عبر فن الرواية أمر شائع ومتكرر بين الكثير من الروائيين، ومن الممكن أن نشهد درجات متفاوتة من عملية التجسيد بصورة واضحة، حيث أننا قد نجدها مسبوقةً بالكثير من الاضطرابات العاطفية، والتأرجحات الذهنية المسيطرة علي أبطال الرواية مثل عملية التجسيد المُتبعة في أعمال التشيكي الشهير ميلان كونديرا، والتي تعمد إلي إظهار الجوانب العاطفية، والرومانسية المتعلقة بشخصيات الرواية، وفي نفس الوقت تعمل علي إبراز الجوانب الجنسية بين الحين، والآخر ضمن إطار متدرج. وفي النهاية، لابد أن ندرك التعمد المُتبع من قبل عدد كبير من السينمائيين والروائيين بخصوص إدراج العنصر الجنسي في الأعمال السينمائية والروائية من أجل جذب الجمهور، ولفت الانتباه، وجني الكثير من الأرباح بكل تأكيد.

-الفصل الرابع

الدعارة والإباحية الافتراضية

يصف الكثيرون الدعارة بكونها المهنة الأقدم في التاريخ، ويعتبرها الدين ضرباً من القذارة والدناءة، ويتوعد المنخرطين في ممارستها بأشد العقاب، كما ينظر إليها المجتمع بنفس النظرة، ويلفظها بشكل تام، وبالرغم من ذلك يمكننا أن نشعر بوجودها بكل سهولة ويسر، حيث مازالت تُمارس علي المستوي العلني في المجتمعات التي تسمح بترخيص العمل بها، وعلي المستوي السري في المجتمعات التي تعارضها. تعرضت الدعارة للكثير من عمليات التنظيم، والتقنين في العديد من المجتمعات المختلفة حول العالم، وتنوعت القوانين المنظمة لها بشكل كبير وموسع. ولقد انتشرت الكثير من المخاوف المتعلقة بالأمراض التي تعمل علي نشرها، وبثها بين الناس، حيث تنتشر الأمراض الجنسية بكل سهولة ويسر بين المنخرطين في الممارسات الجنسية العشوائية مثل الإيدز، والزهري، وغيرها من الأمراض الخطيرة، والتي تتنوع مراحلها وتتعدد مخاطرها بشكل كبير.
وعندما نتأمل معاً ممارسات البغاء المتعلقة بأغنياء القوم وأعاليهم، فمن الممكن أن نرصد البيئة الخاصة بفتيات الأوران، واللاتي أخذن نصيباً من الشهرة لفترة مطولة في اليابان، وحرصن باستمرار علي إمتاع الأغنياء والمشاهير. كما حرصن بشكل دائم علي منع فتيات الجيشا من الانخراط في التسلية الجنسية، والاكتفاء بالتسلية الفنية والترفيهية حرصاً منهن علي الانفراد التام بالمهنة، والسيطرة الكاملة علي المجال.

وبالرغم من انخراط الجيشا في مجتمعات البغاء كفنانات ممارسات للنشاط الترفيهي فقط إلا أنهن قد صُنفن من قبل الكثيرين بالباغيات، والداعرات. ولقد أدي الجدل القائم حول طبيعة عمل فتيات الجيشا إلي إقصائهن، وحجزهن في أحياء معزولة. تعمل الجيشا علي تقديم الكثير من الأنشطة الترفيهية، والرقص، وقراءة الشعر، والعزف علي الآلات الموسيقية من أجل إمتاع الزبائن، ولا ينخرطن في أي ممارسة جنسية. ولقد اختلطت الأمور علي الكثيرين ممن صنفوا الجيشا بالداعرات كنتيجة حتمية للتشابه الملحوظ بين ملابسهن، وملابس الممارسات للبغاء. كان البغاء مشروعاً في فترة الإيدو، واشتهرت فتيات الأوران بالانخراط في ممارسته بشكل موسع، وقد خلط الناس بين الجيشا، والأوران حيث تشبه الأوران الجيشا في شكل الشعر والمكياج الأبيض، غير أن الاختلاف يكمن في الشريط الذي يُربط حول الخصر، والذي يُدعى بالأوبي، حيث يُعقد إلى الأمام. ولقد أصدرت الحكومة فيما بعد قراراً يسمح للجيشا بالانخراط في الممارسات الجنسية مما أدي إلي خلاف كبير بين اليابانيين، حيث أنهم علي علم هائل بالفرق الواسع بين الجيشا والبغايا، مما دفع الحكومة فيما بعد إلي التفرقة بشكل واضح بين الجيشا، والمنخرطات في البغاء حفاظاً علي سمعة الجيشا. بالطبع، تنتشر الدعارة في الكثير من بقاع الأرض (روسيا، وتايلاند، وأميركا، والبرازيل...إلخ)، وتعمل في

العلانية حينما تتوافر وسائل الترخيص والتقنين، وفي نفس الوقت تتجه للسرية والعمل خفيةً حينما تُمنع عنها التراخيص وتلفظها القوانين.

وبالرغم من ذلك، يتعرض الكثير من المنخرطين في ممارسة الدعارة إلي الكثير من المشاكل، والصراعات علي كافة المستويات، والدرجات بسبب طبيعة المهنة نفسها، والنظرة النسبية المتعلقة بها حول العالم. وقد تأخذ هذه الممارسات سياقاً مختلفاً من التربح، وجني الأموال عبر الاعتماد علي عملية التصوير والعرض، والتي تظهر من خلال الإباحية الافتراضية المتمثلة في أفلام البورنو، والتي تنتجها الولايات المتحدة بشكل رئيسي وموسع، وتشاركها دول مثل روسيا، والتشيك، وتايلاند، واليابان في نفس المجال. تعمل الولايات المتحدة علي إنتاج عدد ضخم من الأفلام الإباحية كل عام، وتنفق ملايين الدولارات عليها، وفي المقابل تجني الكثير من الأرباح علي كافة الأصعدة، والمستويات. تقدم هذه الأفلام صورةً مخالفةً للواقع بشكل كبير حيث تعمل علي تصوير النشاط الجنسي بصورته الحيوانية الخالصة مهملةً الجانب العاطفي، والسيكولوجي للإنسان، والذي يمثل الفارق الواضح والصريح بين النشاط الإنساني والحيواني. كما تعمد إلي استخدام الأسلوب الاحترافي، والتقني في عملية الإنتاج فتلجأ إلي المونتاج، واستخدام التأثيرات المختلفة، والتلاعب بالألوان، والاعتماد علي نماذج بشرية مُدربة، ومنتقاة بعناية، ودقة. تواجه

الأفلام الإباحية الكثير من المعارضة من قبل عدد كبير من الناشطات النسويات اللاتي يهاجمن الإباحية بشكل واضح وصريح، ويتهمن الشركات المنتجة لها بتسليع المرأة، والتقليل من شأنها، والعمل علي تقديمها ضمن إطار حيواني خالص بينما تنظر بعض الناشطات إلي الأمر علي أنه نصر لهن، حيث يُسمح للإناث بالعمل في المجال بشكل متساوٍ مع الرجال مما يقوي من موقفهن، ويعمل علي تدعيمهن. وبالرغم من ذلك، يُعد العمل بالأفلام الإباحية أمراً شائناً علي كافة المستويات، وبالنسبة لكافة المجتمعات، خاصةً المجتمعات صاحبة المرجعية الدينية، والخلفية الأخلاقية المتأصلة، والتي لا تسمح بمثل هذه الأمور، وتعمل علي لفظها بشكل مستمر. تري الكثير من الأبحاث صلةً واضحةً بين إنتاج الأفلام الإباحية، وانخفاض معدل الجرائم الجنسية والاغتصاب والتحرش، بينما ينظر البعض إليها علي أنها محفز للانخراط في الممارسات المنحرفة، والبعيدة عن السلوك السوي المُتفق عليه. كما ينظر الكثير من الباحثين إليها علي أنها المدمر الفعلي للكثير من العلاقات بين الذكور، والإناث علي أرض الواقع باعتبارها مصدر رئيسي لقتل العاطفة، ورفع سقف التوقعات علي المستوي الجسدي والجنسي من قبل الطرفين. تعمل "أفلام البورنو" علي تأصيل الطبيعة الحيوانية المرتبطة بالإنسان، وتعرضها في صورتها الأولية ونمطها الخام ضمن إطار مُوسع، كما تعمل علي تجاهل

الجانب العاطفي بشكل كلي أو تعرضه في صورة هزلية بعيدة كل البعد عن العقل والمنطق. تخلق هذه الأفلام عند الشباب حالات مختلفة ومتدرجة بينهم بشكل كبير، فقد تدفع بأحدهم إلي الهوس الجنسي، وقد تخلق لآخر حالة من الضغط النفسي، وقد تحيط أحدهم بالكثير من الخيالات والأوهام البعيدة كل البعد عن الواقع، بينما ينظر إليها الكثيرون علي أنها وسيلة بسيطة للتسلية والترفيه، وأنها لا تمثل أمراً معقداً يحتاج إلي كل هذه الأبحاث والتحليلات، بل تمثل حالة من الترفيه الافتراضي البعيدة كل البعد عن أي مخاطر ممكنة أو محتملة. وأؤكد علي الحقيقة المتمثلة في تصميم الكثيرين علي تجنب عملية التحليل، والبحث فيما يخص الإباحية الافتراضية، ولا يتوقفون عند هذه النقطة فحسب بل تمتد منظوماتهم الفكرية لتشمل النشاط الجنسي بشكل عام، حيث يري أنصار هذا الفكر أن تحليل النشاط الجنسي وكل ما يتعلق به أمر سيء ومدمر لخصوصيته ومعكر لصفو التجربة الجنسية بشكل تام. من الضروري أن نؤكد علي حالة الحزن، واليأس، والفقدان العاطفي التي تعيشها الكثير من "الموديلز" المشاركات في الأفلام الإباحية، وهو ما تعمل الكثيرات منهن علي التعبير عنه بصورة مستمرة، حيث تفقدهن هذه المهنة الكثير من العواطف البشرية الطيبة، وتؤدي بهن إلي الانخراط في بيئة حيوانية

من الطراز الأول، وقد يتعرض الذكور إلي الحالة نفسها لكن بصورة أقل مقارنةً بالإناث.

-الفصل الخامس

الهوس الجنسي وتسليع المرأة

يرتبط الهوس الجنسي بالوساوس القهرية بشكل رئيسي عند الكثيرين، وقد يسيطر علي الشخص كنتيجة حتمية لعدم قدرته علي التعامل مع الضغوط العاطفية، والأخلاقية، والدينية التي تحيط به. يعمل المخ البشري علي بث الصور الجنسية في عقول المراهقين، والبالغين ضمن إطار محدد بين الحين والآخر كجزء رئيسي من البرمجة الخاصة به، والتي تعمد إلي تحفيز الشخص علي إرضاء الغريزة الجنسية أو تعمل علي السعي نحو الاحتلام اللاإرادي أثناء النوم أو ممارسة الاستمناء أو الانخراط في الجماع الكامل. لكن المهووس يعاني من تكرار متسلسل لهذه الصور بأشكال مختلفة وأنماط متعددة، وقد تصاحبه الكثير من الخيالات الفاحشة المُفعمة بالانحرافات المختلفة. يدرك الكثير من المصابين المشكلة التي يعانون منها، وفي نفس الوقت لا تُتاح الفرصة لغيرهم بالتعرف علي حجم الضرر المُلحق بحيواتهم، كما يحتاج المرضي في هذه الحالات إلي العلاج السلوكي والتدريبي حرصاً علي تجنب أعراض المرض ومقاومته، كما أنه من الممكن أن تُصرف لهم بعض الأدوية المضادة للاكتئاب، والمنشطة للسرتونين بكل تأكيد. في الحقيقة، تمثل هذه الوساوس علي المدى البعيد أمراً خطيراً ومدمراً للشخص علي كافة المستويات حيث أنه من الممكن أن يفاجئ العقل البشري امرأةً متزوجةً علي سبيل المثال بخيالات جنسية موجهة تجاه ابنها الصغير، أو أن يحيط شاباً صغيراً

بالكثير من المخاوف المتعلقة بإمكانية شذوذه، وغيرها من الأمثلة التي لا حصر لها. ونستنتج من الكلام السابق أن الأمر برمته يمثل تداخلاً قهرياً للنشاط الجنسي مع نمط الحياة الطبيعية بالنسبة للمرضي، مما يدفعهم إلي الانخراط في الممارسات الجنسية بأنواعها المختلفة بشكل مستمر ودائم. تؤثر هذه الوساوس علي الكثيرين منهم متلاعبةً بالليبيدو بصورة تشملها المبالغة والتطرف مقارنةً بالإنسان الطبيعي أو المعياري، كما تدفعهم إلي الانخراط في العديد من الممارسات المرتبطة بالخطل الجنسي "البارافيليا"، ويُعد "الفوياريزم" مثالاً موضحاً لهذا الأمر ومعبراً عنه بشكل كبير حيث يعمد المُصاب إليه بشكل مستمر باعتباره النشاط الأكثر سهولة من حيث الممارسة. في الحقيقة، نلجأ إلي الربط بين حالات الهوس الجنسي، والوساوس القهرية بشكل مباشر في أغلب الأحيان؛ لأنها تعمد إلي عامل التكرار، والذي يمثل أمراً مشتركاً بين الهوس الجنسي، والوسواس القهري. وقد نعمد إلي أسباب أخري فيما يخص هذه البيئة، حيث أنه من الممكن أن يكون الهوس الجنسي نتاجاً سريعاً لحالة من الفهم الخاطئ المُمارس من قبل المخ، والمبني علي الخلط بين آليات النجاة وآليات التمتع، وحينها يعطي لآليات التمتع نصيباً كبيراً، ومبالغاً فيه معتبراً إياها ضمن منظومة النجاة الأكثر أهمية مقارنةً بآليات التمتع، وحينها يعطي العقل البشري للجنس أهمية تشبه أهمية التنفس علي سبيل المثال! فنجد

الشخص منخرطاً في الكثير من الممارسات الجنسية التي تفوق طاقته بشكل أكيد، مما يؤدي إلي ظهور الكثير من المشاكل بصورة لاحقة. وإذا تطرقنا إلي فكرة "تسليع المرأة" وعملنا علي دراستها بتمعن، لوجدنا أنفسنا أمام حالة من العمل علي تحويل الأنثي إلي سلعة، واستخدام جسدها ضمن إطار مادي صادم، مما يؤدي إلي خلق الكثير من الضغوط علي كافة المستويات بصورة يشملها الاستهجان، والتعجب. تستخدم الكثير من المحلات، والمطاعم، والإعلانات الشابات كوسيلة لجذب الزبائن، ومن هنا نجد النسويات منخرطات في طرح الأطروحات، وفرض النظريات حول هذه القضية المؤرقة بالنسبة لهن بشكل مستمر. فقد شكلت قضية تسليع المرأة أمراً أساسياً وبناءاً رئيسياً للكثير من النظريات النسوية والأطروحات النفسية المتعلقة بهن، حيث تنظر الكثيرات منهن إلي الأمر بمثابة العامل الرئيسي القابع خلف عدم المساواة وعدم تحقيق العدالة بين الجنسين، فعندما نتأمل سلسلة المطاعم الشهيرة "هوترز"، فإننا بصدد التعامل مع مجموعة من المطاعم المعتمدة علي الفتيات والشابات الصغيرات بشكل رئيسي، حيث تجبرهن علي التعري، وملاطفة الزبائن بأي صورة ممكنة. وقد تأخذ عملية التسليع سياقاً مختلفاً معتمدةً علي المرأة نفسها وامتلاكها لرغبة التعري وسعيها نحو لفت الأنظار، حيث تري بعض النسويات أن عملية الانخراط في التجمل

المُبالغ فيه وارتداء الملابس الكاشفة تمثل نموذجاً واضحاً للتسليع، والسماح للآخرين بالنظر إلي المرأة علي أنها سلعة أو شيء يُقتني، بينما تنظر أخريات إلي هذا الإطار بصورة مختلفة حيث يعتبرن الأمر بمثابة تدعيم للمرأة، ووسيلة للتعبير عن القوة، والهيمنة. تتبع الموديل الأمريكية إيميلي راتاكوسكي المنظور الثاني المُعتمد من قبل النسويات فيما يخص عملية التسليع، حيث تعتبر التعري والتقاط الصور الكاشفة بمثابة المدعم الواضح والصريح للمرأة، كما تنظر إلي الأمر برمته علي أنه تعبير عميق عن القوة والتمكن، وهو ما يخالف الكثير من المنظومات الفكرية، والثقافية، والدينية في العديد من المجتمعات. وفي نفس الوقت، كثيراً ما تُهاجم راتاكوسكي من قبل المعجبين والمتابعين، لاعتمادها الصريح علي التعري بشكل مستمر ودائم، دون الاهتمام بالأزياء نفسها التي تعمل علي الترويج لها، حيث يري البعض أنها تمثل نموذجاً صريحاً لتسليع المرأة، وهو ما يخالف فكرها ومنظومتها المُعتمدة من قبلها أثناء ممارستها لعملها بشكل عام. وفي نفس الوقت، يري البعض أنها تعاني من هوس جنسي أو شيء من هذا القبيل؛ لأنها لا تكتفي بعملية التعري فحسب بل تعمد أيضاً إلي الإيحاءات الجنسية في الكثير من الأوقات. بالطبع، تعمد الكثيرات ممن يعملن في هذا المجال إلي النهج المُتبع من قبل راتاكوسكي،

لكننا قد تطرقنا إليها بالتحديد لأنها كثيراً ما تشير إلي نفسها علي أنها ناشطة نسوية مدافعة عن حقوق المرأة وساعية نحو الارتقاء بها.

-الفصل السادس

عشوائية النشاط الجنسي وعقول المراهقين والمراهقات

تسعي الكثير من المجتمعات المحافظة نحو عملية التنظيم والضبط فيما يخص النشاط الجنسي وكل ما يتعلق به، كما تعمد إلي العادات والتقاليد المنظمة للممارسات الجنسية والموظفة لها ضمن أطر محددة ومتوارثة. بالطبع، يُعد الدين المنظم الأول للنشاط الجنسي والمصدر الرئيسي للأخلاق، وكل ما يتصل بها من ممارسات سوية. لكننا علي علم بحجم العشوائية التي كثيراً ما تطول النشاط الجنسي، مما يخلق في نهاية الأمر مجتمعات متفرقة ومختلفة في بنيتها التطبيقية لكنها متفقة في بنيتها النظرية المعتمدة علي الإرشادات، واللوائح النابعة من الدين والعادات والتقاليد. لا ترتبط عشوائية النشاط الجنسي ببيئة محددة، فمن الممكن أن نرصدها في حي شعبي أو قرية صغيرة أو مدينة كبيرة أو مجتمع سكني بسيط أو مجتمع سكني معقد أو بيئة ساحلية أو بيئة منفصلة عن الفكر الديني أو بيئة متصلة بالمنظومة الدينية بشكل عام، ويكمن النقيض الواضح للعشوائية الجنسية في منظومة الزواج، والتي تمثل الإطار الواضح، والصريح، والمُنظم، والمُتفق عليه من قبل الكثير من المجتمعات، خاصةً المجتمعات صاحبة الخلفية الدينية. من الصعب أن نرصد حالات واضحة من الممارسات العشوائية لكن من الممكن أن نتنبأ بحالات خفية منها في المجتمعات صاحبة الخلفية الدينية، والتي تتضمن في نفس الوقت وفي نهاية المطاف الكثير من الممارسات المُنظمة، والمُوظفة عبر منظومة الزواج

القائمة علي الدين، والمبنية علي قواعده، وإرشاداته، والتي من المُفترض أن تمثل الأغلبية الكاسحة بالنسبة لهذه المجتمعات. بالنسبة للمجتمعات اللادينية، فإننا بصدد التعامل مع حالة من التحرر الجنسي والفكري بشكل كبير، والتي من شأنها أن تعمل علي لفظ مصطلح "العشوائية الجنسية" بكل تأكيد، وفي نفس الوقت قد نرصد عدداً من المجتمعات الحريصة علي تنظيم النشاط الجنسي ضمن منظومة العادات والتقاليد دون الوجود الفعلي لدين محدد. ومن الممكن أن نرصد مجتمعات أخري متصلة بمنظومة الدين لكنها لا تعمل نهائياً بالقواعد المتعلقة بالنشاط الجنسي، وتصمم علي تجاهلها بشكل كلي. تتدرج حالة التحرر الجنسي بين المجتمعات المختلفة، وتختلف عن حالة العشوائية الجنسية بالنسبة للمفهوم المتعلق بكل منهما، حيث أصنف العشوائية الجنسية بكونها مُدركة في الأساس كنتيجة حتمية للوجود الفعلي للنقيض المتمثل في المنظومة الأخلاقية أو الدينية، والتي تصمم بقوة علي عملية التنظيم والضبط. وبالنسبة لحالة التحرر الجنسي، فمن الأفضل أن تُلحق بالغرب الأمريكي والأوروبي دون تعميم، بينما يُستخدم مصطلح "العشوائية الجنسية" الخفية مع المجتمعات المصممة علي عملية التنظيم والتوظيف المنضبط. نشبت الثورة الجنسية خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، واعتمدت علي نشر الكثير من المفاهيم مثل حرية التعبير عن

الجنس، وحرية الممارسات الجنسية سواء كان المرء متزوجاً أم لا، والأفكار المتعلقة بمنع الحمل، والعري الصريح، وإتاحة الحرية للمثليين، والإجهاض، والأفكار النسوية، وغيرها من المفاهيم والأفكار المتعلقة بالجنس والداعية للتحرر بشكل عام. واعتنق "الهيبيز" هذه الأفكار بشكل رئيسي، وعملوا علي التعبير عنها بصورة مستمرة ودائمة، ودعوا لممارسة الجنس بشكل عشوائي أهوج، لكنهم قللوا في النهاية من هذه الممارسات العشوائية وامتنعوا عنها لاكتشافهم لحجم الضرر الروحي الناجم عن الجمود العاطفي والاضطراب النفسي المتعلق بالأمر بشكل عام، حيث التفتوا إلي ابتعادهم عن الحرية الروحية المتعلقة بالفرد بشكل كبير وملفت. يختلف الكثيرون حول حجم التأثير المتعلق بالثورة الجنسية لكنهم يجمعون علي الحرية المُكتسبة التي منحتها هذه الثورة للناس فيما يخص عملية التحدث عن الجنس، وكل ما يتعلق به. ورجوعاً إلي العشوائية المهيمنة علي النشاط الجنسي، فمن الضروري أن أؤكد علي أنها لا تمتد لتشمل المجتمع بأكمله، ولا تمتد عملية التنظيم لتسيطر عليه بصورة كلية، لكننا أمام حالة من الانقسام فيما يخص هذا الشأن، والصنفان موجودان بطبيعة الحال، وهو ما يخبرنا به المنطق بكل تأكيد، حيث تخبرنا التجربة الإنسانية بوجود الأبيض والأسود علي طول الطريق، وهو ما يمثل السلوكيات البشرية المختلفة بشكل واضح وفعال.

وإذا تأملنا عقول المراهقين والمراهقات، لوجدنا أنفسنا أمام حالة من التوتر العميق وبيئة من التأرجح والحراك، حيث تترجم عقولهم وعقولهن الاضطرابات الهرمونية والعاطفية إلي حالة من التمرد والعصيان في كثير من الأوقات، وهذا ما تعبر عنه الكثير من الأبحاث المرتبطة بتتبع ودراسة سلوك المراهق والمراهقة. كما أنه من الممكن أن نشير إلي حجم الفضول المسيطر علي العقل البشري فيما يخص الجنس الآخر أثناء مرحلة المراهقة، حيث يعمل عقل الذكر علي تتبع النشاط الأنثوي بشكل مستمر، ويعمل عقل الأنثى علي تتبع نشاط الذكور ضمن إطار مشابه، ومن الضروري أيضاً أن ندرك سعي الذكر نحو المتعة الحسية بشكل أكبر أثناء هذه المرحلة مقارنةً بالإناث، وسعي الأنثى نحو الإرضاء العاطفي بشكل أكبر مقارنةً بالذكور. تظهر علامات البلوغ عند الذكور متمثلةً في خشونة الصوت، ونمو القضيب والخصيتين والعضلات وشعر الإبط والعانة، وغيرها من العلامات والتغيرات المعبرة عن هذه المرحلة، بينما تتمثل علامات البلوغ عند الإناث في بداية الدورة الشهرية، ونمو الثديين، وزيادة تركز الدهون في مناطق محددة، وظهور شعر العانة، والتقلبات المزاجية المرتبطة بمتلازمة ما قبل الدورة، وغيرها من العلامات الأخرى. بالطبع تمثل هذه التغيرات الجسدية أمراً رئيسياً ومحورياً فيما يتعلق بالتقلبات المزاجية والتكيف مع هذه التطورات المفاجئة، والتي تعمل علي

إثارة أذهانهم وأذهانهن بشكل مستمر خلال هذه المرحلة لتثير الفضول وحب التعرف. يبحث المراهق في هذه المرحلة عن الوسائل المتاحة للتعبير عن الغريزة الجنسية، ومن هنا تتشكل وتتنوع عقول المراهقين متخذةً الكثير من الأساليب والطرق التي من شأنها أن توفر لهم وسيلةً صريحةً للتعبير عن الغريزة الجنسية التي تلاعبهم بين الحين والآخر. ينخرط المراهق في بيئته المندرجة ضمن إطار الجنسانية، ويعمل علي التعبير عن جنسانيته ضمن إطار محدد تسنه العادات والتقاليد والدين، ويتدرج هذا الإطار بشكل كبير بين المجتمعات المختلفة وفقاً لدرجة التأصل والالتزام الخاصة بالدين والقواعد المجتمعية، والتي قد تشهد حالة من المرونة والمطاطية. وفي عصرنا الحديث، ظهر ما يُعرف "بالسكستنج"، وهو مصطلح يشير إلي عملية التبادل الجنسي أو الإباحي بين الأفراد علي الهواتف الخاصة بهم، والتي من شأنها أن تعتمد علي الصور، والفيديوهات، والرسائل المتضمنة لطبيعة جنسية بشكل واضح، وتُصنف هذه الحالة ضمن سلوكيات البارافيليا بصورة مؤكدة. ومن الممكن أن نرصد حالات من المراهقين ضمن هذا الإطار، حيث نجدهم منخرطين في ممارسة "السكستنج" باستمرار ولفترة مطولة من أعمارهم بشكل مثير للسخرية، وبصورة تستحق الدراسة والتمعن. بالطبع، يمثل الأمر سلوكاً مرفوضاً من قبل الدين والكثير من المجتمعات، كما أنه قد

يؤدي إلي الكثير من العواقب الوخيمة علي المستوي النفسي والاجتماعي والجنائي، فمن الممكن أن نرصد الكثير من الحالات التي تعرضت للعديد من العواقب الوخيمة من جراء الانخراط في عملية "السكستنج"، حيث أنه من الممكن أن تُستخدم هذه المواد المُرسلة ضمن إطار مفتوح، وبعيد عن الخصوصية لاحقاً من قبل المُرسل إليه، ومن المحتمل أن تُستخدم كوسيلة للإحراج أو التنمر أو الضغط فيما بعد. وبالنسبة للجزء النفسي، فقد تعرض الفتاة نفسها إلي حالة من تأنيب الضمير والشعور بالعار والإحراج والاكتئاب والتسليع في نفس الوقت، ولا ينبغي أن نلوم الفتاة فقط في هذه الحالة لكن من الواجب علي المجتمع أن يوجه اللوم للطرف الآخر أيضاً.

-الفصل السابع

الجنس في السياق العدمي

نحاول أن ننظر إلي الغريزة الجنسية بشكل مختلف عبر صفحات هذا الفصل، فلا نعمد إلي الأسلوب التقليدي المتعلق بالمنظور الخاص بها والمُعتاد من قبل الكثير من الباحثين والمفكرين، بل نعمل علي ربطها بالمنظور العدمي. ولن نتحدث عن الأمر بشكل مشابه لرؤية الكاتبة الأمريكية إريكا يونج المتمثلة في تشبيه العملية الجنسية بحبوب الإفطار والهدية التي تصاحبها، ولن نشبه عملية التكاثر بهذه الحبوب والمتعة المصاحبة للنشاط الجنسي بالهدية، لكننا سنلجأ إلي النظرة البعيدة عن الرؤية التقليدية والمنفصلة عن الأمور المُعتادة المتعلقة بالغريزة الجنسية ككل. تري بعض الحضارات القديمة أن الانخراط في النشاط الجنسي يشبه إلي حد كبير الحلم وكثيراً ما حذرت أبناءها من الانهماك في ممارسة الأنشطة الجنسية لكونها مُحرمة أو مُحتقرة، ومن الممكن أن نلاحظ عملية التطور الإنساني والدور الذي يلعبه الدين في خلق المعني ومنح القيمة للكثير من الأشياء ومن بينها الجنس، ومن هنا أعطي الغريزة الجنسية قدراً كبيراً من المعني والقيمة عبر تنظيمها والاهتمام بها. وإذا تطرقنا إلي حالة اللامعني التي تحاول العدمية أن تضفيها علي نتائج الغريزة الجنسية، لوجدنا أنفسنا أمام منظومة مبنية بشكل رئيسي علي عملية التأكيد المستمرة المتعلقة بعدم جدوى الوجود البشري، وغياب القيمة الفعلية للنسل المُنتج من الممارسات الجنسية المتعددة كنتيجة لذلك.

قد تخلق العدمية حالة من التذبذب والاضطراب، والتي من شأنها أن تسيطر علي عقل الفرد العادي فيما يخص عملية التكاثر وخلق المعني، ومن هنا يتأثر المنظور الفردي الخاص بالتوظيف الغريزي، ويقتصر علي المتعة العابرة والإرضاء الغريزي دون السعي الفعلي نحو التكاثر أو خلق أجيال جديدة. لا تمنحنا العدمية رأياً ثابتاً فيما يخص عملية التكاثر، لكن من الممكن أن نستشف رؤيتها الخاصة بعملية التوظيف الغريزي، حيث تؤكد باستمرار علي عدم جدوي كل شيء. وفي نفس الوقت، قد نشهد بيئةً من الانقسام فيما يخص المنظومة العدمية، حيث أنه من الممكن أن نرصد حالةً من العدمية الخالصة، وحالةً أخري من العدمية المتذبذبة، ومن هنا نجد أنفسنا بصدد التعامل مع منظور متذبذب فيما يخص عملية التكاثر، وفكر متردد فيما يخص الرؤية المتعلقة بالقيمة الفعلية للأبناء والأحفاد. لا تتماشي هذه المنظومة مع رؤية الكثير من المجتمعات، ولا تتفق مع الدين، ولا يمكن أن نحصرها في الإطار التطبيقي الخالص، لكن من الأفضل أن ندرجها ضمن الإطار النظري في أغلب الأوقات، حيث ينخرط البشر في نهاية المطاف في ممارسة الأنشطة البشرية التقليدية، ومن ضمنها عملية التكاثر محاولين التكيف مع عملية خلق المعني، وإضفاء القيمة الوجودية علي سلوكياتهم وأفعالهم المختلفة. وقد نشهد حالة من الانخراط في الأحاسيس والأفكار العدمية المُمارسة من قبل الشخص

العادي بين الحين والآخر، لكنه سريعاً ما يعود إلي المحاولة من جديد فيما يخص العملية الكلية المتعلقة بخلق المعني وإضفاء القيمة.

-الفصل الثامن

الغريزة الجنسية بين التكاثر والتمتع

تعمل الغريزة الجنسية وفقاً لعدة أطر من بينها التكاثر، والتمتع المبني علي نشاط الهرمونات والناقلات العصبية "الدوبامين" بشكل أساسي، وتنظر الكثير من المجتمعات إلي الغريزة الجنسية علي أنها وسيلة للتكاثر بشكل رئيسي، ومصدر للاستمتاع بشكل فرعي، بينما تعطي الكثير من المجتمعات الأخرى عملية الاستمتاع الأولوية والأهمية كالمجتمع الفرنسي علي سبيل المثال. وبالرغم من ذلك، يخبرنا المنطق التجريبي أن عدد الممارسات الجنسية المبنية علي فكرة الاستمتاع تفوق بمراحل عدد الممارسات المعتمدة علي السعي نحو الإنجاب، وهو ما نشهده في كافة المجتمعات علي مستوي العالم. فعندما نمعن النظر في بيئة مكونة من زوجين لديهما عدد من الأبناء، نجد أننا بصدد التعامل مع ممارسات جنسية قائمة علي الاستمتاع كعامل وكوسيلة لجذبهما تجاه عملية التكاثر، فالأمر مبني علي الاستمتاع بصورة رئيسية، وفي نفس الوقت تتخلل عملية التمتع بعض الممارسات الساعية نحو الإنجاب والتكاثر. في مجتمعات أخري، قد نشهد حالة من الحرص الشديد علي عملية الاستمتاع دون الرغبة في الإنجاب، مما يؤدي إلي نقص واضح في عدد الشبان والشابات. في نفس الوقت، قد نرصد حالة من الحرص الشديد علي الإنجاب، والحصول علي قدر محدد من المتعة دون الانخراط في بيئة من السعي الدائم نحوها، وهو ما نشهده في بعض المجتمعات الروحية أو

الكابتة لمصادر الإثارة الجنسية. يمثل التعبير الصريح عن تأصل فكرة الاستمتاع الجنسي أمراً غير مُحبب في الكثير من المجتمعات المحافظة، حيث أنه من الممكن أن تحفز -عملية التركيز علي الاستمتاع- الأشخاص نحو المزيد من الممارسات الخارجة عن منظومة الزواج، والتي تتبناها المجتمعات المحافظة بشكل رئيسي. وبالرغم من ذلك، من الممكن أن نرصد الكثير من الحالات المخالفة للقواعد الخاصة بمنظومة الزواج، والمنخرطة في ممارسة العديد من صور الانحراف الجنسي أو الخيانة الزوجية بصورة مستمرة. وقد تلحق عملية المخالفة الشخص بحالة من الاضطراب والتوتر بين الحين والآخر، مما يؤدي إلي الاصطدام بالدين والعادات والتقاليد، ليقع فريسةً للكثير من الضغوط والوساوس، وغالباً ما يتعرض المخالف لهذه الحالة في فترة متأخرة بصورة مباشرة ومؤثرة. بالطبع، ترتبط عملية التكاثر بإرضاء داخلي يسعي الشخص نحو تحقيقه علي المدى البعيد، ومن الممكن للفرد المعارض لفكرة الإنجاب أن يتغير رأيه في لحظة من الزمان، وحينها تطفو الدوافع العميقة والكينونة المُعقدة للجنس البشري علي السطح بشكل واضح، وظاهر. في الحقيقة، تتكاتف مفاصل الغريزة معاً بشكل كبير ومؤثر، حيث يعتمد الجنس علي التكاثر والمتعة بالتبادل، ولا يمكننا أن نقلل من شأن أحدهما أو نرفع من شأن

الآخر، حيث يعملان معاً بانسجام وتكامل من أجل إرضاءات بشرية غريزية خالصة.

-الفصل التاسع

الإيروتيكا والعقل البشري

تمثل الإيروتيكا الجانب الجمالي للغريزة الجنسية والمشاعر المرتبطة بترقب الانخراط في ممارسة النشاط الجنسي، وتعبر عن الأحاسيس الجنسية المختلفة التي تسيطر علي الذكر والأنثى بصورة مبنية علي الترقب واللهفة. ومن الضروري أن نفرق بين الإباحية "البورنو" والإيروتيكا، وأن نوضح الاختلافات الجوهرية بينهما، حيث تخلو الإباحية من عملية الاهتمام بالجانب الجمالي للغريزة الجنسية، لكنها تعتمد بشكل رئيسي علي الإثارة المباشرة المبنية علي التعري الكامل والاندماج العميق، بينما تصبو الإيروتيكا إلي الإثارة معتمدةً علي إظهار الجانب الجمالي للغريزة، والانخراط في بيئة من الإيحاءات والحركات الجنسية المعتمدة علي التدرج بشكل كبير. تتدرج الإيروتيكا بشكل متصاعد منتهيةً ضمن الإطار العام للتوظيف الجنسي المعروف "بجنس الفانيلا"، والملتزم بالصورة التقليدية للممارسات الجنسية التي لا تخرج عن السلوك المألوف أو النمط المعتاد من قبل الشخص العادي. بالنسبة للبورنو، فإننا بصدد التعامل مع كافة الأنماط المتعلقة بالنشاط الجنسي لتشمل التجربة الممارسات السوية وغير السوية دون تفرقة واضحة أو قيود محددة. ومن هنا يتصاعد الإطار الخاص بالتوظيف الجنسي عبر الإباحية ليتجاوز بشكل واضح إطار الفانيلا، وليرصد الكثير من الممارسات الجنسية المعتمدة علي العنف أو فقدان التوازن بين مفاصل العلاقة المتبادلة.

تعمل غالبية الأعمال الفنية والسينمائية والأدبية ضمن إطار الإيروتيكا، حيث تعتمد علي التدرج الفعلي للتجسيد الغريزي دون التطرق إلي التجسيد العميق أو الكامل. تتضمن الكثير من الأعمال السينمائية قدراً كبيراً من التعري والممارسات الجنسية بأشكالها المختلفة، لكنها في نفس الوقت بعيدة كل البعد عن حجم التعمق المُتعمد من قبل منتجي الأفلام الإباحية، والتي تصبو في الأساس إلي عرض التجربة الكاملة. من الممكن أن نرصد عدداً من الأفلام السينمائية القليلة الراصدة للسلوك الإيروتيكي والمتدرجة في الإطار السردي لتصل به إلي حالة من التجسيد الإباحي الكامل، وقد نرصد عدداً أقل من الأفلام السينمائية المتجاوزة للسلوك الإيروتيكي والواصلة به إلي الإباحية غير التقليدية والبعيدة عن ممارسات الفانيلا المُعتادة والمألوفة. وبالنسبة للإطار الأدبي، فمن الممكن أن نقرأ "الروض العاطر في نزهة الخاطر" للنفزاوي، ومن الممكن أيضاً أن نقرأ "قصة أو" لبولين رياج. وعندما نتأمل كتاب النفزاوي، نجد أننا بصدد التعامل مع كتاب جنسي تعليمي مبني علي الإرشادات الجنسية السوية والمعتمدة علي النمط التقليدي المعياري المُعتمد من قبل السلوك البشري الجنسي المألوف، حيث يعمل الرجل علي التحدث ضمن الإطار الجنسي السوي البعيد عن أشكال السادية والمازوخية، وغيرها من الممارسات المتعلقة بالخطل الجنسي أو البارافيليا.

يقول في بداية كتابه: "الحمد الله الذي جعل اللذة الكبرى للرجل في فروج النساء وجعلها للنساء في أيور الرجال. فلا يرتاح الفرج ولا يهدأ ولا يقر له قرار إلا إذا دخله الأير والأير إلا إذا دخل بالفرج. فإذا اتصل هذا بهذا وقع بينهما النكاح والنطاح وشديد القتال. وقربت الشهوتان بالتقاء العانتين وأخذ الرجل في الدك والمرأة في الهز، بذلك يقع الإنزال.

الحمد الله الذي جعل لذة التقبيل في الفم والوجنتين والرقبة والضم إلى الصدر ومص الشفة الطرية مما يقوي الأير في الحال. الحكيم الذي زين بحكمته صدور النساء بالنهود والرقبة بالقبلة والوجنتين بالحرص والدلال. وجعل لهن عيونا غانجات، وأشفارا ماضيات، كالسيوف الصقال. وجعل لهن بطونا متعقدات وزينهن بالصورة العجيبة والأعكان والأخصار والأرداف الثقال وأمد الأفخاذ من تحت ذلك وجعل بينهن خلقة هائلة شبيهة برأس الأسد في العرض إذا كان ملحما ويسمى بالفرج. فكم من واحد مات عليه حسرة وتأسفا من الأبطال! وجعل له فما ولسانا وشفتين فأشبه وطأ الغزال في الرمال. ثم أقام ذلك كله على ساريتين عجيبتين بقدرته وحكمته ليستا بقصار ولا بطوال. وزين تلك السواري بالركبة والغرة (الفارة) والعقب والعرقوب والكعبة والخلخال وأغمسهن في بحر البهاء والسلوان والمسرة بالملبس الحقيقي والمحزم البهي والمبسم الشهي".

في هذه الحالة قد نصنف هذا الكتاب ضمن الإطار التعليمي، لكن الأمر يرتبط بالتجربة الشخصية والرؤية الفردية، حيث أنه من الممكن لشخص ما أن يتجاوز بخياله هذه الكلمات، ويخرج بها عن الإطار الجنسي التعليمي، ويأخذها إلي المستوي الإيروتيكي، وحينها يجعل منها مصدراً للإثارة والتحفيز. ومن الممكن أن نمارس عمليةً مشابهةً فيما يخص رواية "قصة أو"، حيث يصنفها البعض ضمن الروايات الإيروتيكية بينما يأخذها البعض الآخر إلي مستوي الروايات الإباحية كنتيجة لوجود بعض الصفحات المتضمنة لعدد من السلوكيات المُصنفة ضمن السادية والمازوخية. من الضروري أن أوضح التفاوت المُلاحظ في الرؤية الفردية المتعلقة بالأمر ككل، حيث يري البعض أنه من الأفضل ألا نعامل السادية والمازوخية ضمن الإطار الإباحي، ومن الأفضل أن نرصدهما ضمن الإطار الإيروتيكي تحت مسمي "الإيروتيكا العنيفة"، لكن هذه الرؤية بعيدة كل البعد عن الصواب، حيث يؤدي العنف إلي فقدان الجانب الجمالي المتمثل في الإيروتيكا بشكل عام. وإذا قمنا بتقسيم اندماجية العقل البشري مع الجنس الآخر -وأقصد بالآخر الذكر أو الأنثى منعاً للانخراط في صراع شرس مع سيمون دو بوفوار- إلي ثلاث مراحل، لوجدنا أنفسنا أمام درجات أعلي من الوضوح فيما يخص الإيروتيكا، والتفاعل البشري معها.

تُسمي المرحلة الأولي بالمرحلة النمطية أو الطبيعية والتي تمثل العقل البشري في تعامله النمطي مع الجنس المقابل، وتُسمي المرحلة الثانية بالمرحلة الإيروتيكية والتي تعمد إلي استخدام الجنس المقابل كوسيلة للإغراء وكمصدر لتحفيز الغريزة، وفي النهاية نجد أنفسنا بصدد التعامل مع المرحلة الثالثة المعروفة بالمرحلة الإباحية والتي تعمد إلي التعامل مع الجنس المقابل كوسيلة للإشباع الغريزي التام بكل عناصره وأشكاله. فعندما تمر امرأة جميلة أمام مراهق صغير، يخبره المجتمع بضرورة اتخاذ السلوكيات اللائقة وإتباع أنماط اللياقة المختلفة والحفاظ علي المساحة الشخصية الخاصة بها. بالطبع، قد يحترم المراهق هذه الإرشادات المتحضرة، والتي من شأنها أن تؤدي إلي سيادة أجواء الحب والاحترام، لكنه في نفس الوقت قد يتجاوز بعقله المرحلة الطبيعية، وينتقل به إلي الخيالات الإيروتيكية، وقد يصل إلي المرحلة الأخيرة المتمثلة في الخيالات الإباحية. كما أنه من الممكن أن يتجاوز كل هذه المراحل النظرية، ويتجه إلي المرحلة التطبيقية المتمثلة في التحرش الجنسي؛ تلك الظاهرة المنتشرة بكثرة في المجتمعات المختلفة، والتي قد نشهدها في المجتمعات المحافظة كنوع من التعويض وفي المجتمعات المتحررة كنوع من الرفاهية. وبالنسبة للإيروتيكا المُجسدة عبر اللوحات الفنية، تتجلي صورها من خلال الأعمال الفنية الخاصة بجوستاف كليمت، والذي اعتمد علي الجسد

الأنثوي باستمرار عبر لوحاته المختلفة، وعمل علي إضفاء الطابع الجنسي علي كثير من لوحاته، خاصةً اسكتشاته المتعددة. ومن الممكن أن نرصد أعمال إيجون شيلي ضمن نفس الإطار الإيروتيكي، حيث تعمد لوحاته إلي الاستخدام المتكرر للطابع الجنسي، والتعبيرات الإيروتيكية الواضحة، والتي قد تصل إلي الإباحية في بعض الأحيان، وفقاً للمنظور البرجوازي المُعتمد في عصره. كما يعمد إلي النظرة السوداوية القاتمة فيما يخص عملية التجسيد الخاصة بالإناث، حيث يبتعد عن الزخرفة الخاصة بأستاذه "كليمت"، ويتجه إلي التعبيرية الألمانية، والتي تهتم بما يدور في عقل الإنسان، وتجنح إلي المخاوف المسيطرة عليه، ولذلك نجد الأشخاص في لوحاته أشبه بالأشباح، ونجد النساء في صوره مفتقرة لمعايير الجمال الأنثوي المُعتادة. وربما تنجم هذه النظرة المتشائمة عن خوفه الدائم من الإصابة بمرض الزهري، والذي فتك بعائلته الواحد تلو الآخر، وقد أدت هذه الحالة إلي قلقه الدائم من النساء والجنس لتصل به إلي درجات عالية من الهوس. وقد تدمج الأعمال الفنية الإيروتيكا مع استايل الجروتيسك، لتجمع بين اللمسات الفنية للغريزة الجنسية، والفن السوداوي المستمد لروحه من بين أحضان الغرابة والخيال. وقد تمثل "الإيروجرو – نانسينس"، تلك الحركة الفنية المنتشرة في اليابان في العشرينيات والثلاثينيات، مثالا معبرا عن كلماتي السابقة.

ومن الممكن أن نرصد عملية الدمج بين الإيروتيكا، والجروتيسك بصورة أفضل وأعمق من خلال الأعمال الفنية الخاصة بالأمريكي ويليام مورتنسن، والتي تعمد إلي عملية الدمج المباشر بين اللمسات الشبقية، والتأثيرات الخيالية المبنية علي الغرائبية بشكل ظاهر وواضح. إن للتأثيرات الإيروتيكية سطوة واضحة علي العقل البشري جنباً إلي جنب مع الخيالات المرتبطة بها، والمعتمدة بشكل رئيسي علي التدرج الفعلي للأحاسيس والمشاعر المتعلقة بترقب الانخراط في ممارسة النشاط الجنسي. ومن الضروري أن ندرك البيئة المسيطرة علي المراهق في البدايات، والتي تعمد إلي التدرج والتلاعب بأحاسيسه الجنسية، حيث تراوده الكثير من التغيرات المتمثلة في ارتفاع ضربات القلب عند التعرض الأول لأي سلوك إيروتيكي أو المحاولة الأولي للتعرف علي جسد الجنس الآخر أو الخيالات الجنسية المسيطرة علي عقله بين الحين والآخر، والتي قد تسيطر عليه أثناء النوم أو قبله مباشرةً أو أثناء عملية الاستيقاظ. تؤدي هذه الخيالات إلي الاحتلام اللاإرادي أثناء النوم أو ممارسة الاستمناء فيما بعد، وهو ما يؤكد علي عملية التدرج المسيطرة علي النشاط الجنسي، حيث تختلف سرعاتها بين البشر وبعضهم البعض، وفقاً للبيئة والسلوك والتجربة. بالطبع، يتطور النشاط الجنسي بشكل متدرج ليصل في النهاية إلي حالة من التكيف التام حينما يعتاده المخ، ويعمل علي تطبيقه بالشكل

الكامل، حيث يشعر المراهق الصغير بالتوتر في البدايات حينما ينخرط في ممارسة الاستمناء لكنه يتكيف مع ذلك علي المدى البعيد ليزول عنه هذا التوتر بشكل كبير، وقد يتجاوز هذه المرحلة لينخرط فيها بعد في ممارسة الجماع الكامل، وحينها تراوده حالة من التوتر في البدايات لكنه يتكيف معها علي مدار الوقت، لتصبح أمراً عادياً بالنسبة للمخ، والذي يعمل علي تبني عملية التكيف بشكل مستمر. ومن الضروري أن أوضح أن عملية التكيف تساعد المرء في التخلص من اضطرابات الأحاسيس الأولي لكنها لا تؤثر علي العملية الجنسية نفسها إلا بعد فترة مطولة من الزمان. وقد تصل هذه الحالة من التكيف إلي درجةٍ عاليةٍ من التطبيق، لتخلق حالة من الانفصال البيولوجي بين الشريكين، وليسعي كل منهما للبحث عن شريك آخر أو ليلجأ أحدهما إلي الخيانة. وبالنسبة للحركات الإيروتيكية، فإنها قادرة علي التلاعب بالبيئة المزاجية للفرد، وحينها تتصاعد درجات الليبيدو، ويزداد معدل ضربات القلب كنتيجة مباشرة للكثير من التغيرات الهرمونية، والتي تتضمن ارتفاعاً في النورادرينالين "النورايبنفرين" بصورة مؤكدة. ترتبط الليبيدو بالتستوستيرون، والإستروجين، والبرجسترون، والسرتونين، والأوكستوسن، والنورايبنفرين، والأستايلكولين. كما تتصل بالحالة النفسية والمزاجية بشكل مباشر، حيث أنه من الممكن لليبيدو أن تنخفض بشكل كبير

وواضح عند المكتئبين أو المحاطين بالمشاكل، وتخبرنا الملاحظة التجريبية بحقيقة وصولها إلي أقصي درجاتها عند الذكور في فترة المراهقة بينما تصل إلي أعلي الدرجات عند الإناث في الثلاثينات، لكننا علي علم بصعوبة عملية الرصد الخاصة بالتعرف الفعلي علي مستويات التستوستيرون والإستروجين المؤثرة علي الشهوة الجنسية عند الفرد، حيث أنها تتدرج وتتنوع بشكل واضح وكبير. لكنني أؤكد علي حيوية التأثير الإيروتيكي المقترن بفترة العشرينات، والتي تملأها الإثارة والفضول والتعرف قبل أن يصل العقل البشري إلي درجات أعلي من التكيف والإدراك.

-الفصل العاشر

الجنس والعاطفة والأنيما والأنيموس

يري الكثيرون أن الجنس هو التعبير التام عن الحب والمشاعر العاطفية، حيث تعمل العاطفة البشرية علي إعداد وتحضير البيئة اللازمة للانخراط في الممارسة الجنسية. يحتاج البعض إلي الانجذاب العاطفي قبل الانخراط في الممارسة الجنسية، ويحتاج البعض الآخر إلي الانخراط في الممارسة الجنسية قبل التعرض إلي البيئة العاطفية. ومن الممكن أن نصف السلوك البشري بالمُعقد، ومن الممكن أن نصنف النشاط الجنسي والعاطفي للإنسان ضمن الجزء الأكثر تعقيداً منه، حيث يصعب الفصل بين الجنس والعاطفة؛ لأننا نعلم أنهما يكملان بعضهما البعض ويعملان علي منح الشريكين التجربة الكاملة والمُستحقة. بالطبع، يتفوق الإنسان علي باقي الكائنات من خلال العاطفة والعلاقات الطويلة المبنية علي التبادل العاطفي والتعبير الكلامي والتواصل الحسي، وربما نجد شيئاً من هذا القبيل في الحيوانات لكن بدرجة بسيطة للغاية وفقاً لبعض الدراسات الحديثة. تعمل العاطفة ضمن الإطار التدريجي المؤدي إلي الممارسة الجنسية، كما تصبو إلي تكوين بيئة من الحب والرعاية المتبادلين بين الشريكين بشكل دائم ومستمر، حيث توفر للنشاط الجنسي بيئةً أكثر أماناً واستقراراً علي المدى البعيد، كما تعمل علي تفعيل البيئة الطبيعية المناسبة للتكاثر والإنجاب للراغبين في ذلك. يقول كارل جوستاف يونج: "كل رجل هو رجل وامرأة في نفس الوقت، وكل امرأة هي امرأة ورجل في

الوقت نفسه"، ويعتمد في كلماته علي فكرة "الأنيما والأنيموس"، حيث تمثل الأنيما المرأة في الرجل، ويمثل الأنيموس الرجل في المرأة. يري يونج أن القطب الأنثوي "الأنيما" يظل خفياً عند الرجل، وأن القطب الذكوري "الأنيموس" يظل خفياً عند المرأة، ومن هنا يكمن السر القابع خلف الحاجة الملحة المسيطرة علي الذكر لتكوين علاقة مع الأنثى، والمهيمنة علي الأنثى لتكوين علاقة مع الذكر، حيث يعمل الذكر علي إشباع الجانب الخفي منه من خلال الممارسة التطبيقية المبنية علي البحث عن الأنثى والعمل علي تكوين علاقة معها، وفي نفس الوقت تعمل الأنثى علي إشباع الجانب الخفي منها من خلال الممارسة التطبيقية المبنية علي البحث عن الذكر والعمل علي تكوين علاقة معه. كما يري أن الأنيما "القطب الأنثوي" تمثل الجزء الإبداعي المرتبط بالذكر، والذي يعمل علي تحفيزه وحثه علي المضي للأمام، وينظر إلي الأنيموس "القطب الذكوري" علي أنه الجزء الإبداعي المرتبط بالأنثى، والذي يعمل علي تحفيزها وحثها علي المضي للأمام. ومن الضروري أن نوضح الحقيقة المتمثلة في عدم توافر الصورة المثالية القادرة علي تحقيق الإرضاء التام بالنسبة للطرفين، فمن الصعب أن يعمل الذكر علي إرضاء الجزء الخفي منه المتمثل في الأنيما بشكل كامل، ومن الصعب أيضاً للأنثى أن تعمل علي إرضاء الجزء الخفي منها المتمثل في الأنيموس بشكل مثالي. ومن الممكن أن نرصد

الكثير من حالات التنافر والصراع بين الذكور والإناث بعد الارتباط العاطفي بينهم، وهو ما يؤكد علي حقيقة عدم توافر الشريك الكامل القادر علي تحقيق الإرضاء التام، ومن هنا يغادر الشريكان بعضهما البعض، ويبحثان عن علاقات جديدة سعياً وراء عملية الإرضاء الكامل، لكنهما سريعاً ما يقعان في الشرك من جديد. تعمل منظومة "الأنيما والأنيموس" ضمن منظومة أكبر وأوسع تُعرف بنظرية "اللاوعي الجمعي" المُعتمدة من قبل يونج، حيث يعتبر الرجل الأنيما والأنيموس بمثابة النموذجين الرئيسيين والأوليين لبيئة "الأنثروبومورفزم" المُعتمدة من قبل العقل اللاواعي. كما يؤكد علي حقيقة أن العقل اللاواعي لا يتكون فقط من الغرائز البشرية والأفكار المكبوتة (وفقاً لفرويد)، لكنه يضم أيضاً صوراً ونماذجاً سلوكيةً متعددةً وبيئات مستقبلة للأنماط السلوكية المختلفة، ويري أن هذه النماذج مُتاحة للجنس البشري بأكمله، وتكمن صورها الأولية في الأنيما والأنيموس.

-الفصل الحادي عشر

سيكولوجية التعري وربط القيمة بالجسد

أريد أن أتطرق في بداية هذا الفصل إلي بعض النماذج الأولية المتعلقة بعملية التعامل مع الجسد بشكل عام، وأرغب في طرح بعض الأسئلة المتعلقة بالإطار الكلي للموضوع. هل تشعر المرأة بقيمة من نوع ما حينما تكشف عن جسدها؟ وهل يشعر الرجل بقيمة محددة حينما يكشف عن عضلاته المفتولة؟ وهل يتعلق الأمر بالوهم أم يندرج ضمن بيئة سيكولوجية مبنية بشكل واضح علي أسباب علمية مُحددة؟ وهل تندرج هذه السلوكيات ضمن البيئة الطبيعية للنشاط البشري أم لا؟ .. بالطبع، تندرج هذه القوالب والنماذج ضمن النشاط البشري الطبيعي لكنها لا تُمارس ولا تُعتمد من قبل الجميع، وربما تتضمن بعضاً من النرجسية أو محاولة الإحساس بالنفس، وربما يرجع الأمر ببساطة إلي الحاجة الملحة المسيطرة علي الكثيرين والكثيرات خاصةً أثناء فترة المراهقة، والتي تتمثل في سعيهم وسعيهن الدائم نحو الإحساس بأنهم مرغبون وأنهن مرغوبات. ومن الممكن بشكل ساخر، أن نرصد سلوكيات بعض المراهقات الصغيرات المتمثلة في إخبار الجميع عن حجم المعاكسات اللاتي يتعرضن لها باستمرار أو أن يقفن أمام المرآة ممتدحاتٍ أجسادهن، ومتأملاتٍ فيهن أو أن يعملن علي المقارنة بينهن وبين صديقاتهن بشكل مستمر ودائم. وفي نفس الإطار، من الممكن أيضاً أن نرصد سلوكيات بعض المراهقين المتمثلة في التفاخر بحجم العضلات أو الاهتمام بحجم

اللحية أو العمل علي إظهار الجوانب الذكورية المختلفة بشكل عام. وتُصنف هذه الصور المختلفة للسلوك الذكوري والأنثوي ضمن الإطار الطبيعي للنشاط البشري، وقد تتأرجح بعضها بين النرجسية الصحية والنرجسية المرضية بشكل كبير، فمن الممكن لامرأة نرجسية أن تستخدم جسدها وملابسها وتأنقها كوسيلة للشعور المبالغ فيه بالنفس، وقد تستخدم امرأة أخري نفس المقومات ضمن الإطار الطبيعي للسلوك البشري وضمن النرجسية الصحية المعتمدة علي التوازن بين الهو والأنا والأنا العليا. ومن الممكن أن نشهد حالات مباشرة لاستخدام الجسد الأنثوي كوسيلة لجلب المال، وخلق القيمة المبنية في أساسها علي الوهم والخيالات. فمن الممكن أن نعمد في تحليلنا النفسي إلي عارضات الأزياء أو المغنيات المعتمدات بشكل واضح علي استخدام الجسد كوسيلة للعرض وجني الأرباح. وعندما نتأمل جلسات التصوير المتعلقة بالكثيرات منهن، نجد أنفسنا بصدد التعامل مع عملية تسليع واضحة وظاهرة بصورة فجة، لكنني أرغب في التطرق إلي عملية التحليل النفسي المتعلقة بعارضة الأزياء نفسها، ففي إحدى الجلسات التصويرية الخاصة "ببيرلي كالندر"، نجد أنفسنا بصدد التعامل مع الموديل "روزي هنتنتون وايتلي" في إطار مبني علي الكشف والتصفيق في المقابل، فكلما بالغت في التعري، صفق لها فريق التصوير المعتمد في نواته علي الذكور، وهو ما

يتماشي في نفس الوقت مع ضحكاتها المتعالية، وسعادتها البالغة. من الممكن أن نتطرق إلي نقطتين فيما يخص عملية التحليل الخاصة بالبيئة السابقة موضع الدراسة، وتتمثل النقطة الأولي في السلوك نفسه المتمثل في سعادتها الشديدة المتدرجة والمقترنة بعملية التصفيق والتركيز المُمارسة من قبل المصور وفريق العمل، حيث تشبه هذه الحالة سعادة الطفل البالغة حينما نحيطه بالتصفيق المقترن بفعل طيب قد قام به، وكلما صفقنا له، ازداد في ممارسة فعله وعمل علي المبالغة فيه، ولهذا قد يمثل السلوك السابق والمتعلق بالطفل نموذجاً أولياً لهذه السلوكيات المتطورة والمبنية في أساسها علي مبدأ المكافأة والنشوة المصاحبة لها. وتتمثل النقطة الثانية في تحليل المنظومة العقلية للموديل نفسها، حيث تشعر بالنشوة والسعادة كنتيجة مباشرة لانتظار المكافأة، وهو ما يصنفه عقلها علي أنه انتصار من خلال إحساسها بالقيمة والأهمية المُستمدتين من نظرات الذكور وتصفيقهم لها. يرتبط الأمر بشكل رئيسي بجني الأموال والحصول علي الشهرة، وفي نفس الوقت لا نجدها ممتنعةً أمام عملية الانتعاش الحسية والمتعة المرتبطة بالعمل والمعتمدة علي تحريك غريزتها وغرائز غيرها الدفينة. هنا نجد أنفسنا بصدد التعامل مع استخدام صريح للجسد كوسيلة لجني المال وتحقيق الشهرة وإدراك المتعة الحسية والشعور بالنفس، لكن من الضروري ألا نعمد إلي عملية التعميم فيما يخص هذا

الإطار، حيث ترفض الكثير من النساء الانخراط في مثل هذه البيئات، وترفض الكثير من النسويات الأمر برمته مدرجاتٍ إياه تحت بند التسليع، وفي نفس الوقت نجد بعضهن مؤيدات له باعتباره وسيلة لدعم المرأة ومساعدتها علي الإحساس بنفسها. في الحقيقة، يختلف المنظور الخاص بعملية التعري والتسليع بين المجتمعات المختلفة مقترناً في نهاية الأمر بالنسبية والتنوع، لكنني أريد أن أصل إلي العمق معك -عزيزي القارئ- من خلال التطرق إلي عملية التحليل الخاصة بسيكولوجية التعري المُمارس من قبل متعريات النوادي الليلية، وبائعات الهوى، والممارسات للدعارة، والعاملات بالإباحية بشكل عام. في إحدى صفحات رواية "مذكرات من العالم السفلي" لفيودور دوستويفسكي، نجد بطل الرواية منخرطاً في حالة من التعجب والتساؤل المقترنة بمهنة بائعات الهوى، حيث ينظر الرجل إلي الأمر برمته متعجباً ومتأملاً، ليقول: "كل هذا من أجل رغيف خبز، ورداء؟" .. ومن الممكن أيضاً أن نتأمل معاً المسلسل البرازيلي "أسرار إينجل"، والذي يعمل علي رصد يوميات الفتاة الجميلة "إينجل" التي تعمل في إحدى شركات الأزياء الشهيرة ببلدها لتوفر النفقات اللازمة لعائلتها، لكنها سريعاً ما تكتشف حقيقة الشركة الخفية وصلتها بعالم الدعارة. وبالرغم من ذلك، لا تقاوم الفتاة الإغراء القابع في طريقها لكنها تنساق وراء رغباتها الجامحة، والمتمثلة في

الحصول علي أكبر قدر ممكن من المال. هنا تجد الفتاة نفسها منخرطةً في حالة سهلة من الإرضاء المادي المرتبط بحالة من الإرضاء الجنسي الأجوف والمُفرغ من العاطفة، وغالباً ما تلجأ إلي أحد زبائنها لتجعل منه شريكها العاطفي الدائم. في البدايات، تشعر بحالة من الاضطراب الشديد المصاحب لأولي تجاربها الجنسية مع الزبائن، ومع الوقت تصل إلي حالة من التكيف والاعتياد، وقد تصاحبها أحياناً بعض الأحاسيس والأفكار المتعلقة بقيمتها الفعلية في الحياة وبحقيقة المهنة المنخرطة في ممارستها. وينطبق الأمر نفسه علي متعريات النوادي الليلية والعاملات بالإباحية، وقد تنتقل الكثير من الأمراض الجنسية إلي العاملات في هذه المجالات بشكل عام، وقد تلحق بهن الكثير من التقلبات النفسية المتمثلة في "اضطراب الكرب التالي للصدمة النفسية"، والذي يسيطر عليهن كنتيجة حتمية لحالات الاغتصاب والعنف اللاتي يتعرضن لها من بعض الزبائن بين الحين والآخر. وقد يرتبط الأمر بتجارب عنيفة سابقة، وقد ينجم عن مواقف من الاستغلال الجنسي قد تعرضن لها في صغرهن، وتتمثل الأعراض في القلق والتوتر والكوابيس والأرق واستدعاء الذهن للأحداث العنيفة بشكل مفاجئ بين الحين والآخر. من الضروري ألا نعمد إلي التعميم فيما يخص الأمراض الجنسية والاضطرابات النفسية التي تلحق بهن، حيث لا تتعرض الكثيرات منهن إلي هذه المشاكل كنتيجة

لعملهن ضمن منظومة مبنية علي المراقبة الصحية المستمرة، ومعتمدة علي التعامل مع مستوي أعلي من الزبائن. وتمثل عملية التعري التام أمراً تقليدياً بالنسبة للعاملات بالمجال، ومن الممكن كنتيجة لذلك أن ندرجهن تحت الفكر الخاص بإيمانويل كانط، والمبني علي اعتبار الشخص المُجرد من ملابسه كوسيلة لتحقيق هدف معين، وكوعاء لتلبية الملذات، وإشباع الرغبات. وكنتيجة لذلك، تعمل مهنة الدعارة علي تحويل النساء إلي مجرد عناصر وأشياء، وتسلبهن حريتهن الفكرية، وتحصر قيمتهن بأجسادهن، وتمنعهن من التفكير والتعبير، ولهذا تُعد الدعارة عدواً رئيسياً لمعظم النسويات، واللاتي يعملن باستمرار علي السعي نحو الارتقاء بالمرأة.

-الفصل الثاني عشر

الموت الصغير والتجربة الروحية والسعي الذكوري نحو التعددية

إن أحمر الشفاه الذي تضعه الأنثى، ودرجات التعري التي تعمد إليها، والاضطرابات الكثيرة المصاحبة لطبيعتها، والتوترات المتعددة التي تبديها وتظهر علي ملامحها بين الحين والآخر، والغيرة المُمارسة من قبلها تجاه ذكرها والغيرة المُمارسة من قبله تجاهها، ووضعيات الكاما سوترا والكاوبوي والمقصات، وفتيات الفانيلا والشوكولا، والقبلات الفرنسية والقبلات السوداء، وصراعات المراهقين والمراهقات، ومراسلات الصغار والصغيرات، ومناوشات الجناتل والآنسات، وكل هذه التدرجات والتوترات والتشاحنات .. إنها تهدف في نهاية المطاف إلي إدراك الذروة الجنسية أو النشوة الجنسية أو "الأورجازم"؛ ليُدرك الهدوء الحسي بعد التشاحن النفسي. يطلق الفرنسيون علي "الأورجازم" مصطلح "الموت الصغير"، حيث يمثل فقداناً قصيراً للوعي والإدراك، كما يرون أنه يشبه إلي حد كبير إحساس الموت أو الاختفاء أو مغادرة العالم بشكل عام، ويصفه الكثيرون بالتجربة الروحية، ويري آخرون أنه يمثل تحريراً سريعاً لطاقات الإنسان الروحية، ويعمل علي تجديد طاقاته الدفينة. ينظر البعض إلي الأمر علي أنه موت جزئي للنفس، ويري البعض الآخر أنه يمثل النشوة في قمتها والمتعة الحسية في أوجها ضمن الإطار الطبيعي للجسد البشري ودون أي عوامل دخيلة، ويتمثل الأمر برمته في تفريغ الطاقة الإيروتيكية المُجمعة، وتحريرها عبر الوصول للقمة وإتباعها

بعملية الاسترخاء اللاإرادي. وبالرغم من ذلك، قد تلي الذروة الجنسية في بعض الأحيان حالة من الحزن والكآبة، والتي تُعرف باسم "انزعاج ما بعد الذروة" أو "انزعاج ما بعد الجماع"، وغالباً ما تعود إلي الانخفاض السريع بمعدل الدوبامين بعد الارتفاع الكبير المسيطر علي مستواه، والمتعلق بالأورجازم. ومن الممكن أن نتعرف علي الأورجازم بشكل أوضح من خلال التطرق إلي العملية الجنسية الكاملة والتغيرات المصاحبة لها عبر التعرض للنموذج الخاص بماسترز، وجونسون.

تتمثل المرحلة الأولي "مرحلة الإثارة" في توتر العضلات، وارتفاع ضربات القلب وضغط الدم، وزيادة معدل التنفس، وانتصاب حلمة الثدي، وضخ الدماء إلي الأعضاء التناسلية بصورة واضحة في القضيب والبظر، وزيادة إفرازات المهبل، وانتفاخ الشفرين، وزيادة حجم الثديين، وتمدد اللعوتين، وانتفاخ الخصيتين، وشد كيس الصفن، ويختلف الأمر بين البشر وفقاً للصحة الجنسية العامة، والعمر، ودرجة الليبيدو.

وتتمثل المرحلة الثانية "مرحلة البلاتو/ العتبة" في عملية الاستمرارية المتعلقة بالإثارة الجنسية، والشعور بدرجات من السعادة، وتشنجات القدم واليد والوجه، وزيادة معدلات ضربات القلب وضغط الدم والتنفس، وزيادة حساسية البظر، وارتداد الخصيتين داخل كيس الصفن، وامتلاء الثلث الخارجي من المهبل بالدم وتغير لونه إلي اللون البنفسجي

القاتم، وتمثل هذه المرحلة حالة من الاستمرارية دون تغيرات جذرية واضحة. وتتمثل المرحلة الثالثة "مرحلة الذروة/ هزة الجماع"، والمعروفة بكونها الأقصر، في الانقباض التلقائي للعضلات والأقدام، ووصول ضربات القلب والضغط ومعدل التنفس إلي القمة، وتورد الجسد، وتحرر التوتر العضلي لاحقاً، وتتواصل الانقباضات والتقلصات لتشمل المهبل والرحم، والذي ينخرط في العديد من التقلصات، بينما تحدث الانقباضات عند الذكر في قاعدة القضيب، وحينها يتحرر السائل المنوي. وتتعرض الأنثي إلي مدة أكبر من الأورجازم مقارنةً بالذكر لكنهما يتعرضان لنفس الأحاسيس دون فرق واضح بينهما، وفقاً للكثير من الأبحاث العملية الموضحة لذلك. وتتمثل المرحلة الرابعة "مرحلة الاسترخاء" في العودة بالجسد إلي الحالة الأصلية السابقة لعملية الإثارة، وعودة أجزاء الجسم إلي الحجم الطبيعي، وتصاحب هذه المرحلة حالة من الحميمية، والإحساس بالنفس، والإجهاد. يصل الذكر بعد ذلك إلي دور الحران أو فترة العصيان، والتي تمنعه من الاستجابة للمزيد من المثيرات، وتعمل علي منع الانخراط في المزيد من الهزات كنتيجة حتمية لإفراز الأوكسيتوسن والبرولاكتن، وتختلف الأبحاث حول حقيقة تعرض الأنثي لفترة العصيان؛ حيث تشير الكثير منها إلي عدم تعرضها إلي أي حالة من العصيان مما يسمح لها ببعض الهزات الإضافية، بينما تشير

أبحاث أخري إلي الوجود الفعلي لحالة العصيان بدليل تعرض الأنثي لدقيقة من عدم الاستجابة للمثيرات بعد الأورجازم. تُفرز الكثير من المواد أثناء عملية القذف عند الذكور، وتتمثل في النورادرينالين، والسرتونين، والأوكسيتوسن، والفاسوبرسن، والنيتريك اوكسيد، والبرولاكتن، والذي يشعرهم بالحاجة إلي النوم خاصةً بعد الجماع؛ حيث يُفرز البرولاكتن بمعدلات أكبر بعد الجماع مقارنةً بالاستمناء، ويندرج الأوكسيتوسن والفاسوبرسن تحت نفس البند أيضاً. وتُسمي القدرة علي المرور بحالة الذروة الجنسية بالقدرة الإرجازية وفقاً لرايش، وتصل المرأة إلي الذروة بشكل فعال عبر ملامسة البظر، والجي سبوت بينما تساعد ملامسة حشفة القضيب "رأسه"، والبي سبوت الذكر علي الوصول إليها بفعالية أيضاً، ويتفق أغلب العلماء حول فعالية ملامسة البظر، ورأس القضيب، ويختلفون حول الجي سبوت، والبي سبوت حتي يومنا هذا. بالطبع، تُفرز الكثير من المواد المتعلقة بالممارسة الجنسية لتُتوج بالدوبامين، والأوكسيتوسن، والهرمونات المخففة للآلام والمهدئة بشكل عام، ويُفرز السرتونين بعد الجماع بكثرة، وحينها تتعالي درجات السعادة والتمتع ليشعر الذكر والأنثى بالحب والحميمية في أفضل صورة ممكنة.

وبالنسبة لعملية الرصد الخاصة بالسعي الذكوري نحو التعددية، فمن الممكن بسهولة أن ندرك الحقيقة المتمثلة في أنها لا تستمد فكرتها من أسباب علمية مُحددة لكن تعتمد في أساسها علي الملاحظة والمراقبة للنشاط الذكوري بشكل عام. كما أنها لا تعمد إلي التعميم الأهوج بل تتطرق إلي الأمر معتمدةً علي الرصد المتكرر للعينات الذكورية دون الاعتماد علي التصنيف الأعمى والبعيد عن الموضوعية، حيث تشير بعض الإحصائيات المقترنة بأواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات في الولايات المتحدة إلي حقيقة أن 50 ٪ من الرجال الأمريكيين المتزوجين قد سعوا لممارسة الجنس خارج منظومة الزواج في فترات ما من حيواتهم في مقابل 10-16٪ من النساء الأمريكيات المتزوجات، وفقاً لألفريد كينسي. كما تسمح الطبيعة الجسدية الذكورية، والعدد اللانهائي للحيوانات المنوية بالانخراط في الممارسات العشوائية المتعددة، وفي نفس الوقت لا تسمح طبيعة الأنثي لها بذلك، وفقاً لأستاذ السيكولوجي بجامعة تكساس ديفيد بوس. وتشير الكثير من النظريات والأطروحات إلي عدم سعي الأنثى نحو التعددية مقارنةً بالذكور، وتؤكد علي سعيها نحو الحصول علي شريك واحد في أغلب الأحيان بينما يختلف الأمر بالنسبة للذكر، والذي تكمن التعددية بداخله، ويسعي لمقاومتها أو

الاستسلام لها مع الوقت، وهو ما يرتبط بشكل مباشر بالمنظومة العقلية والمعتقدات الفكرية الخاصة بالفرد نفسه دون التطرق إلي التعميم.

-الفصل الثالث عشر

عقدتا أوديب وإليكترا والإدراك الجنسي

يستخدم فرويد مصطلح "عقدة أوديب"، ضمن نظريته الخاصة بالتطور النفسي والجنسي للطفل الذكر، للتعبير عن المرحلة العمرية (3–6 سنوات)، والتي تتركز فيها الرغبة الجنسية في مناطق الإثارة الخاصة بالطفل "المناطق الإيروجينيسية"، حيث يشعر خلالها بالانجذاب الجنسي اللاواعي تجاه الأم والنفور من الأب. يرتفع فرويد بالنغمة ليخبرنا باعتقاده في انغماس الطفل في حالة من الخوف والقلق المتعلق بشعوره الدائم بأن أباه سوف يعمل علي بتر قضيبه في لحظة ما كنوع من العقاب، وحينها يلجأ إلي التكيف مع طبيعة أبيه ومعاملته كصديق بدلاً من معاملته كعدو، ويتعرض إلي هذا الشعور كنتيجة لإدراكه لغياب القضيب عند الأم مما يدفع به إلي هذه الحالة بشكل عام. تتطور سيكولوجية الطفل خلال هذه المرحلة لتعمد بعد ذلك إلي عملية الكبت والمنع، والتي من شأنها أن تعمل علي تعديل ميوله ووضعها في الإطار المضبوط عبر الاعتماد علي "الأنا العليا". وتستمد "عقدة أوديب" فكرتها من الأسطورة اليونانية المعبرة عن قتل أوديب لأبيه، وزواجه من أمه، وإدراكه لذلك لاحقاً، ليعيش في حالة من الحزن والكآبة، بينما تتمثل "عقدة إليكترا" – وفقاً لتسمية كارل يونج – في شعور الطفلة الصغيرة (3–6 سنوات) بالانجذاب الجنسي اللاواعي تجاه أبيها، ونفورها من أمها وتكيفها معها لاحقاً، ويحلل فرويد الأمر من خلال وصفه للبيئة

الأولية المحيطة بالطفلة، والمتمثلة في غيرتها الناجمة عن عدم امتلاكها لقضيب، مما يدفعها إلي لوم أمها كنتيجة لذلك. وتستمد "عقدة إليكترا" فكرتها من الأسطورة اليونانية المعبرة عن قتل الفتاة إليكترا لأمها لمشاركتها في قتل زوجها "والد إليكترا". يعتمد التحليل النفسي الكلاسيكي للأمر برمته علي عملية تحديد الهوية التي يعمد إليها الطفل أو الطفلة مع نفس الجنس من الوالدين، وحينها تُفعل عملية التخلص من عقدتي أوديب وإليكترا بشكل تام، بينما يصمم فرويد علي حل الأنثي لعقدتها من خلال "الغيرة من القضيب"، وحل الذكر لعقدته من خلال "خوفه من بتر قضيبه"، وإدراكهما للأمر والتكيف معه عبر "الأنا العليا" بشكل رئيسي. كما يري أن غياب القدرة علي التخلص من هذه الحالة قد يؤدي بالطفل أو الطفلة إلي التعرض لدرجات من "العصاب" علي المدي البعيد، ويعمد إلي استخدام مصطلح "العقدة الأوديبية" بشكل شامل، وملم، ليشمل كلا العقدتين بشكل عام.

-الفصل الرابع عشر

الكفاءة الجنسية والليبيدو

تختلف الرغبة الجنسية "الليبيدو" بين البشر بشكل كبير، وتتعرض للكثير من التغيرات والاختلافات والدرجات عبر حياة الفرد الواحد، وتتأثر بالكثير من العوامل البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية بشكل عام. وترتبط بالحالة النفسية للفرد بشكل مباشر، فمن الممكن للضغوط النفسية والاضطرابات العاطفية أن تنخفض بها إلي أقل درجة ممكنة، ومن الممكن أن يرتفع بها المرء إلي أفضل درجة متاحة عبر العمل علي توفير البيئة الهادئة والمفعمة بالطمأنينة والسلام وراحة البال. ومن الممكن أن تؤدي مقارنة الفرد بين مستوي الرغبة الجنسية في أول العلاقة، ومستواها في فترة لاحقة إلي حالة من القلق والتوتر، والتي تعمل علي خفض درجة الليبيدو بشكل مؤثر ومباشر. يتفاعل الذكور مع منظومة الرغبة الجنسية بشكل أسرع مقارنةً بالإناث، حيث تتفاعل البيئة الفسيولوجية للذكر بشكل سريع مع الإثارة الجنسية وترتبط عنده الليبيدو بالإثارة بشكل مباشر، بينما تتأثر الأنثى بالجزء السيكولوجي بشكل أكبر وتتفاعل مع البيئة المحيطة بها بشكل مفعم بالحساسية الزائدة ومحاولة التكيف.

وقد تنخفض درجات الليبيدو كنتيجة لبعض التغيرات الهرمونية، وقد تهبط إلي أقل درجة ممكنة عند التعرض للكثير من الضغوط النفسية أو التعرض لحالة من الاكتئاب أو الانخراط في نمط حياة تسيطر عليه الكثير من المشاكل والصراعات. كما ينجم عن -عدم التكيف بين الشريكين علي

المستوي العاطفي، والنفسي، والفكري- حالة من الانخفاض التام لدرجات الليبيدو، ومن المعروف أيضاً أن التعرض للاستغلال الجنسي أثناء فترة الطفولة قد يؤدي بالفرد إلي حالة مماثلة. ومن الضروري أن نشير إلي التأثير المباشر للبيئة المحيطة بالأفراد علي درجات الليبيدو عندهم، حيث تؤدي البيئة المتحررة جنسياً إلي الارتفاع بدرجاتها عند الفرد مقارنةً بالبيئة المحافظة والملتزمة بقواعد مُحددة بخصوص الإطار الجنساني العام، حتي لو كان الأمر مُطبقاً علي المستوي الظاهري فقط في بعض الأحيان. بالطبع، تمثل الليبيدو إحدي الطاقتين المصاحبتين للإنسان عبر حياته، حيث يتمثل الإبداع والفن وحب الحياة في "الليبيدو"، ويتمثل الموت والروحانية في "المورتيدو". تمثل الطاقة المعبرة عن الرغبة الجنسية المصدر الرئيسي لاستمرارية الحياة البشرية ودوام الحرص عليها، وتشكل المنبع الأساسي للفكر البشري والإبداع الإنساني وحب الحياة والسعي نحوها بشكل عام، بينما تمثل "المورتيدو" الطاقة الكابتة لليبيدو والمانعة للاستمرارية والساعية نحو الحياة الأبدية والمتجاوزة لحدود الجسد البشري وأبعاده المختلفة. بالطبع، تنخرط الطاقتان في حالة من الصراع الدائم علي مدار حياة الفرد، لتحيطه بحالة من المعاناة والتوتر، والتأرجح بين الحماسة والنشاط من جهة، والكمون والخمول من جهة أخري.

وبالنسبة "للكفاءة الجنسية"، فمن الممكن أن نلخصها ببساطة في قدرة الفرد علي الانخراط في الممارسة الجنسية والتمكن من الاستمرارية والوصول إلي الذروة الجنسية "الأورجازم" في نهاية المطاف، وترتبط بالليبيدو، والتي تمثل الخطوة الأولي المهيئة للانخراط في الممارسة الجنسية، والتي تتطلب درجةً معينةً من الكفاءة والأداء بكل تأكيد. ويعتمد الأداء الجنسي للفرد علي العمر، والصحة الجسدية والنفسية، وأسلوب الحياة، وطبيعة البيئة المحيطة، ونوعية الطعام، ومدي نشاط الدورة الدموية، والهرمونات وتأثيراتها المختلفة علي الليبيدو، والكفاءة الجنسية بشكل مباشر. ومن الممكن أن نصل من خلال كلماتنا السابقة إلي الحقيقة المتمثلة في الاختلاف والتدرج بين البشر فيما يخص الليبيدو والكفاءة الجنسية، والمرهونتين بالاختلاف الواضح المهيمن علي العوامل المتنوعة المؤثرة عليهما بشكل عام.

-الفصل الخامس عشر

الجنس والعنف

يتمثل العنف الجنسي في الممارسات الجنسية المبنية في أساسها علي الإكراه والإجبار، ويمثل الاغتصاب الجنسي أكثر الصور المعبرة عنه بأنواعه المختلفة وسياقاته المتعددة. تتعدد وتتنوع الأسباب القابعة خلف سلوك المغتصب، لتتمثل في الإسراف في الخمر والمخدرات، وكراهية النساء بشكل عام، والخروج عن القانون، وإدمان التعرض للمواد الإباحية، والعدوانية، والاضطراب العاطفي، والتعرض للاستغلال الجنسي في الصغر، واضطراب العلاقة مع العائلة، والفقر، وغياب القوانين الصارمة. ويؤدي الاغتصاب إلي العديد من العواقب الوخيمة والتأثيرات السلبية التي تلحق بالضحية المُغتصبة، لتتمثل في الإصابة ببعض الأمراض الجنسية، واضطرابات الأكل والنوم، والاكتئاب، والانعزالية، والخوف، والارتباك الدائم، والسعي نحو إيذاء النفس أو الانتحار في الحالات الشديدة. وبالرغم من سعي المجتمع المحلي والدولي نحو القضاء علي عمليات الاغتصاب الجنسي والعمل علي تطوير الشخصية والقضاء علي المشاكل النفسية والارتقاء بالفرد، إلا أننا قد نشهد حالات من الاغتصاب الجماعي المُمارس من قبل الجيوش في أوقات الحروب والصراعات ضمن إطار مفعم بالهمجية والعشوائية. فمن الممكن أن نتذكر معاً حالات الاغتصاب المرافقة لمذبحة نانجينج، ومعسكرات الاغتصاب الجماعي بالبوسنة والهرسك، وهتك الأعراض

بسجن أبو غريب، وحالات الاغتصاب المُعلنة وغير المُعلنة المتعلقة بالحرب العالمية الأولي والحرب العالمية الثانية، وغيرها من الأمثلة المعبرة عن همجية الإنسان وشروره المتشعبة. ومن الممكن أن ندرج "التحرش الجنسي" تحت بند "العنف الجنسي" أيضاً، حيث يمثل الأمر تعدياً علي حرية الآخرين ومساحتهم الشخصية، وقد يصل التحرش إلي مستويات عالية من التعدي والتطفل للدرجة التي تؤثر علي ضحية التحرش نفسياً وجسدياً ضمن إطار مفعم بالسلبية والقلق. وقد تعمد الكثير من المجتمعات إلي استخدام الميديا وإطلاق الحملات المتعددة بغرض القضاء علي العنف الجنسي، وقد تعمل علي إطلاق الكثير من برامج التوعية الداعمة للفكرة والمعبرة عنها بشكل دائم، كمحاولة للتقليل من انتشار العنف بأشكاله وأنواعه المختلفة.

-الفصل السادس عشر

المثلية الجنسية

تمثل المثلية الجنسية انجذاباً جنسياً وعاطفياً بين أشخاص من نفس الجنس (بين ذكرين أو بين أنثتين)، وغالباً ما يتم مناقشة موضوع المثلية ضمن الإطار البيولوجي والجيني والبيئي بشكل عام. وتشير بعض الأبحاث العلمية إلي حقيقة ارتباط المثلية الجنسية بالكثير من العوامل البيولوجية والجينية والبيئية، وتوضح أن الأمر لا يُعد اختياراً بالنسبة للشخص لكنه يمثل ميلاً طبيعياً ضمن الميول الجنسية المختلفة، وهذا ما يعمد إليه الغرب الأوروبي والأميركي في وقتنا الحالي، ويستخدمه كوسيلة لمنح المثليين الكثير من الحقوق والحريات مقارنةً بالفترات السابقة، بينما تشير بعض الأبحاث الأخرى إلي حقيقة عدم ارتباط المثلية الجنسية بالعوامل البيولوجية أو الجينات، لكنها ترتبط بالعديد من العوامل غير الجينية مثل البيئة المحيطة والتنشئة وشخصية الفرد نفسه، وهذا ما يتوافق مع المنظومة الدينية والمجتمعية في عدد من المجتمعات حول العالم، والتي تري أن الأمر يمثل اختياراً شاذاً وضرباً من الرفاهية وطيفاً من الخروج عن الطبيعة السوية للإنسان. ومن الضروري أن نشير إلي وجود عدد من المعارضين للمثلية الجنسية في الغرب الأوروبي والأميركي بالرغم من سن العديد من القوانين الداعمة لشرعية المثليين في هذه البلاد، حيث يري أصحاب هذا الفكر أن الأمر يمثل خروجاً واضحاً عن الفطرة السليمة.

وبالنسبة للمجتمعات صاحبة المرجعية الدينية والمجتمعات المعارضة للمثلية الجنسية بوجه عام، فمن الممكن أن نشهد حالة من عدم التعبير عن التوجهات المثلية وعدم السماح بذلك، حيث تنظر إلي الأمر علي أنه عمل مشين أو سلوك شاذ وتدرجه تحت بند الخطيئة. وقد يتطور هذا السلوك ليصل إلي حالة من الازدواجية، والتي تُعرف بالازدواجية الجنسية، حيث ينخرط الفرد في علاقات مختلفة مع الجنس المشابه له، والجنس المخالف عنه لُيعرف "بالبايسكشوال"، ومن الممكن أن نرصد الكثير من الحالات المعروفة بالازدواجية الجنسية مثل آمبر هيرد، وكريستن ستيوارت، وأنجلينا جولي. وبالنسبة للهوموفوبيا، فإنها تمثل حالة من المشاعر والأحاسيس السلبية المُوجهة تجاه المثليين وكل ما يتعلق بهم، وقد يمتد المصطلح ليشمل "البايسكشوال" و"الترانسجندر" أيضاً، ويمثل الأمر برمته خليطاً من الخوف والكره والازدراء والرغبة في التجنب. وقد تنظر المجتمعات صاحبة المرجعية الدينية إلي تدمير سدوم، وعمورة علي أنه إدانة صريحة للمثلية الجنسية، حيث تستند إلي النصوص الدينية المتعلقة بهذا الشأن، والتي تتحدث عن القري التي خسفها الله لارتكاب أهلها للكثير من المفاسد وممارسة اللواط والانخراط في الممارسات الجنسية الغريبة بوجه عام. في النهاية، تختلف الأبحاث العلمية حول قضية المثلية الجنسية حتي يومنا هذا، وتختلف المجتمعات في نظرتها

للمثليين بشكل واضح، لتتمثل في فريقين أحدهما مساند وداعم، والآخر معترض ومعارض، ويمثل الدين المرجعية الرئيسية المُعتمدة من قبل المجتمعات المعارضة بكل تأكيد.

-الفصل السابع عشر

الإثارة الجنسية وثقافة المجتمع

تتضمن الإثارة الجنسية تفاعلات فسيولوجية متعلقة بعملية التحفيز الجنسي، وتعتمد هذه التفاعلات علي طبيعة المحفز وأبعاده المختلفة المُصنفة كمصدر للإثارة وكمحرك لليبيدو. ومن الممكن أن نأخذ من انتصاب القضيب والبظر كمثال واضح للتعبير عن الاستجابة الفسيولوجية الفعالة للإثارة الجنسية الناجمة عن المثير أو مصدر الإثارة، لكن من الضروري أن ندرك حجم الاختلاف الواسع بين المجتمعات بشأن مصادر الإثارة الجنسية نفسها، فما يعتبره مجتمع ما كمصدر للإثارة الجنسية وكمنشط لليبيدو، قد يمثل النقيض في مجتمع آخر. وقد أوضح الصورة ضمن نطاق أضيق عبر التعرض لفكرة "المرأة الممتلئة والمرأة الرفيعة"، حيث تنظر بعض المجتمعات إلي الممتلئة علي أنها مصدر لجذب الانتباه بينما تنظر مجتمعات أخري إلي الرفيعة علي أنها الصورة الأفضل للتعبير عن المرأة المعيارية الجميلة، ومن الممكن أن نتطرق إلي نفس الفكرة عبر ربطها بالأزمنة المختلفة، ففي القديم، كانت الأولوية للمرأة الممتلئة، وفي عصرنا الحالي، تمثل المرأة الرفيعة الأولوية والأفضلية. وقد تمثل هذه البيئة من التصنيفات حالة من السطحية والتبجح وفقاً للكثير من المفكرين والباحثين، لكنها في نفس الوقت تمثل الحقيقة المبنية علي الرصد والملاحظة بالنسبة لآخرين. ومن الممكن أن نتطرق لمثال آخر عبر التعرض لتأثير المواد الإباحية علي المجتمعات المختلفة، حيث أنه من

الممكن لمجتمع ما أن يعتبر الإباحية والبورنوجرافيا كمصدر للإثارة الجنسية، وفي نفس الوقت قد يعتبرها مجتمع آخر أمراً مقززاً أو مثيراً للاشمئزاز. ومن الممكن أيضاً أن نطبق الأمر نفسه علي المستوي الفردي بدلاً من الاعتماد علي عملية التعميم، حيث قد يختلف أفراد المجتمع الواحد في منظوراتهم وتوجهاتهم الخاصة، فمن الممكن أن نشهد حالة من التفاوت بين الأفراد في العملية الخاصة بتحديد مصادر الإثارة والمقاييس الجمالية المتعلقة بها والأبعاد المتعددة المرتبطة بتأثيراتها. وتُطبق الاختلافات بين المجتمعات والثقافات علي كلا الجنسين من ذكور وإناث، حيث يختلف المنظور الخاص بالذكور تجاه الإناث، والمنظور الخاص بالإناث تجاه الذكور وفقاً للمجتمع نفسه، والأفكار الجديدة المسيطرة عليه، والفترة الزمنية التي يعيشونها.

-انتهي-

الآيات والأحاديث .. تمت مراجعتها.

المعلومات .. تمت مراجعتها.

تشريح الغريزة .. معتز عرفان

دار عرفان للنشر .. مؤسسة عرفان للثقافة والفنون